المدخل إلى دراسة
بلاغة أهل السنة

الدكتور محمد بن علي بن محمد الصامل
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



ذكر ودعاء، وشكر وإهداء

إلى أبي/ علي بن محمد بن صامل بن ملاقي الجهني : كنتَ أباً شفيقاً، ومربياً حازماً، علمتنا حبَّ الناس واحترامهم، صارعتَ ظلام الأمية، لتنقلنا إلى نور العلم، تركتَ هذه الدنيا الفانية وسمعتُك حسنة، وذكراك عطرة، تشيِّعك أدعية المحبين.

أمطر الله شآبيبَ الرحمة عليك وعلى والديك، وغفر الله لك، وأعلى درجاتك، ونفعك بدعائنا لك.

إلى عمي/ محمد بن محمد بن صامل بن ملاقي الجهني : كنتَ لي أباً وأخاً وصديقاً، شملتني بعطفك، وأكرمتني بنصحك، وأسديتَ لي معروفاً لا أنساه ما حييت، تعلمتُ منك مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الناس، تركتَ فراغاً بيناً في نفوس محبيك، عوّضك الله في خلفك خيراً، وأصلح ذريتك، ونفعك بدعائهم، وأغدق الله عليك رحمته، وغفر لك ولوالديك.

إلى أمي/ يا صاحبة القلب الكبير : تعبت وعانيت، وشاطرت والدي شظف العيش، وكبد الحياة، فكنت له خير معين، حَرصت على غرس حبٍّ الخير وصلة الرحم في نفوس أبنائك، ووجهت فأحسنت التوجيه، ودعوت فأخلصت الدعاء، وإني لأرى أثر دعائك لي ولإخوتي عياناً في كل أمر من أمور الحياة.

متعك الله بموفور الصحة وهناء العافية، وأطال في عمرك على طاعة الله، وأراك من بَنيك ما يسرك، ورزقك برَّهم ونفعهم.

إلى أم علي وأبنائي وبناتي : أعنتموني بصبركم، وساعدتموني بدعائكم، ويسرتم لي من الأوقات ما هيأ لي إنجاز كثير من أعمالي. جعلكم الله عونا لي على طاعته، والله يحفظكم ويرعاكم.

إلى أحبتي : أقاربي جميعاً، وزملائي وأصدقائي، ومشايخي وتلاميذي.

أهدي لكم أعبق التحيات وخالص الدعوات.

محبكم جميعاً

أبو علي

المدخل إلى دراسة
بلاغة أهل السنة

ح دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصامل، محمد بن علي.

المدخل إلى بلاغة أهل السنة والجماعة. ـ الرياض.

١٨٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٠ - ١٣ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠

١- البلاغة العربية ٢- أهل السنة

أ- العنوان

ديوي ٨١٩ ١٧/٣٠٧٥

رقم الإيداع: ١٧/٣٠٧٥

ردمك: ٠ - ١٣ - ٧٢٧ - ٩٩٦٠

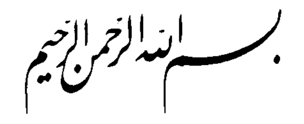
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مركز الدراسات والإعلام / دار اشبيليا

ت/ فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩ - ص. ب.: ٣٢٤٦٠ - الرياض: ١١٤٢٨



المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، وبعث فينا مجتبى رسله، ومصطفى أنبيائه، وشرع لنا الاقتداء بهديه، والاهتداء بسنته.

وصلى الله وسلم على من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وحث على التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن التزام المسلم بالمنهج الرباني الذي ارتضاه الله له، وفق منهج السلف الصالح الذين تلقوه عن رسول الله ﷺ، فالتزموا به، وعملوا بتوجيهاته، دون أن يخضعوه لأهواء شخصية، أو مآرب مذهبية، إن الالتزام بذلك المنهج لهو من حسن إسلام المرء، ومن بوادر توفيق الله له.

وحرصاً على الالتزام بمنهج السلف الصالح، وخدمة التخصص الذي أنفقت فيه من عمري سنين، وشعوراً بالمسؤولية أمام الله عز وجل في تقديم ما أراه نافعاً.

من أجل ذلك كله كانت فكرة الدعوة إلى منهج بلاغي يخدم مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الأسماء والصفات، والإيمان، واليوم الآخر، ومسائل الغيبيات، وسائر مسائل الاعتقاد فكرة تراودني منذ أمد، وذلك لما رأيت أن علم البلاغة

قد انحرف مساره عند بعض العلماء، وصار باباً لهم ولجوا من خلاله، فخدموا به معتقدهم، وطوعوه لتأويل ما يخالفهم.

وأهل السنة - لا جرم - أولى بعلم البلاغة من غيرهم، فهو المعين على معرفة إعجاز القرآن، والمبين لفصاحته، وبلاغته، وبه يكون تمام الإيمان، ولكن هذا العلم - مع الأسف الشديد - أصبح وكأنه من علوم المعتزلة المقصور عليهم، وذلك لكثرة تأليفهم فيه، واستغلالهم إياه، فصار كثيرٌ من أهل السنة المعاصرين يجفون البلاغة، لما رأوه فيها من مصادمة لاعتقاد أهل السنة.

وقد رأيت أن الدعوة إلى منهج بلاغي يلائم معتقد أهل السنة من الأمور اللازمة التي تأخر عنها المشتغلون في البحث البلاغي، فآثرت طرحها، وكنت أكثر من الحديث عن هذا الموضوع مع زملائي، وأمام طلابي، وحين عرض عليّ - مشكوراً - نادي القصيم الأدبي المشاركة في نشاطه الثقافي، رأيت أن يكون موضوع المحاضرة: (بلاغة أهل السنة)، فكتبت هذا البحث، وألقيت ملخصاً له في مساء يوم الأحد ٦/١/١٤١٦هـ، وتلقيت مجموعة من الأسئلة والتعليقات، أفدت منها فائدة طيبة، كما حرصت على إطلاع بعض أفاضل الزملاء على هذا البحث، فاستنرت بملحوظاتهم، وسددت النقص، وقومت المعوج.

ويسعدني - اليوم - أن أقدمه بعنوان: (**المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة**) أقدمه للقراء الكرام بعد أن أعدت فيه النظر، لعله يكون نافعاً لي، وحافزاً لغيري لإتمام هذه الدعوة بإجراء

دراسات مستفيضة تخدم القرآن الكريم، والسنة المطهرة وفق الفهم الشرعي الصحيح الموافق لمعتقد أهل السنة، لنظفر بدراسة بلاغية نافعة خالية من المخالفات العقدية.

هذا ولما كان كل عملٍ بشري معرضاً للنقص والخلل، فإني على يقين أن هذا البحث لاً يخلو من نقص أو خلل، وأملي في الله أولاً أن يعفو عمّا زلّ به القلم، ويغتفر عما وقع من خلل، ثم أملي ممن يتكرم بقراءته أن يهدي إليّ عيوبي فيه، لأدعو له بظهر الغيب، فالمؤمن مرآة أخيه.

وقبل أن أترك القلم أود أن أشكر جميع الزملاء الأفاضل وأخص منهم: الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي، والأخ الزميل الصديق الدكتور عبدالله بن صالح العريني، والأخ العزيز فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، على ما أبدوه من نصح وتشجيع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبوعلي/ محمد بن علي الصامل

بعد مغرب يوم الاثنين ٥/ ٤/ ١٤١٧هـ

في مدينة الرياض الزاهرة

وقفة مع العنوان: (مدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة):

ليس الغرض من هذا العنوان الوقوف على أساليب أهل السنة في كلامهم، والحكم على بلاغتهم فيها، وإنما المقصود الدعوة إلى إبراز رأي أهل السنة في البلاغة العربية بدءاً من الفكرة وتأليف الكتاب وانتهاءً بتحليل النصوص وتوجيهها في ضوء البحث البلاغي، وتطويعها لخدمة المعتقد.

ولهذا سينصب الحديث في عدد من المباحث هي:

١ـ فكرة الدعوة إلى بلاغة أهل السنة وأسباب ذلك.

٢ـ تحديد مفهوم أهل السنة.

٣ـ انتماءات أشهر علماء البلاغة العقدية من خلال كتبهم البلاغية.

٤ـ وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي.

٥ـ أثر العجمة في الانحراف العقدي.

٦ـ نماذج للتوجه البلاغي المخالف لمنهج أهل السنة، وبيان رأي أهل السنة فيه.

٧ـ الاحتكام إلى قوانين اللغة أصل من أصول قواعد بلاغة أهل السنة.

٨ـ الانفلات من قوانين اللغة يوقع في مزالق خطرة في توجيه النصوص.

٩ـ الموقف من المخالف.

١٠ـ المواصفات التي تحدد منهج البلاغة عند أهل السنة.

فكرة التأصيل لمذهب أهل السنة في البلاغة:

إن مما يثير الاستغراب أن يدعى لتأصيل علم نشأ وترعرع في أحضان القرآن الكريم، بل إن غاية هذا العلم هي الكشف عن أعظم مناحي الإعجاز القرآني، منحى وقع فيه التحدي، ذلكم هو: نظم القرآن.

فإذا كان الأمر كذلك، فما الحاجة للتأصيل؟ وهو الذي يسعى لربط هذا العلم بجذوره، والعلاقة والتأصيل واضحان للعيان.

إن من أهم الأسباب التي ألحت على الكاتب بضرورة التأصيل الخاص لهذا العلم هو ما أصاب علم البلاغة حيث انحرف مساره، وارتدت وسائله على غايته، فبدلاً من أن يكون معيناً على توضيح معاني القرآن الكريم، والكشف عن أسرار النظم، إذا به يصرفها عن وجهها الصحيح إلى معانٍ ليست مرادة، فصارت البلاغة عند كثير من العلماء المتأخرين مطيّة لصرف آيات الكتاب عن معناها المراد إلى معان يريدها هؤلاء تتلاءم مع رغباتهم؛ ليسلموا ـ كما يرغبون ـ من مصادمة هذه النصوص لمعتقداتهم.

ومما ساعد على الحماس لهذه الدعوة أمور أجملها فيما يلي:

١ـ قلة من ينطبق عليهم وصف أهل السنة بمعناه الخاص من المشاركين في البحث البلاغي.

٢ـ إبراز جهود بعض الفرق بصورة ظاهرة كالمعتزلة(١) والأشاعرة(٢). سواء أكان ذلك في إبراز جهدهم في نشأة البلاغة في كتب تاريخ البلاغة، أو بتخصيص دراسات لهم.

٣ـ شيوع كثير من المخالفات العقدية في كتب البلاغة التي يدرسها أبناؤنا، مثل: التلخيص والإيضاح للخطيب القزويني، والمفتاح للسكاكي، وكذلك في كتب التفسير التي تسلك الاتجاه البلاغي أو تجنح إليه، كالكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور... الخ.

٤ـ تعمّد كثير من المعتزلة خدمة معتقدهم بتوجيه النصوص بلاغياً، وظهور التعسف في هذا الجانب، وعند التأمل وإعمال القواعد البلاغية التي وضعوها بأنفسهم يظهر لنا أنهم خالفوا منهجهم في هذه القضية أو تلك، ويكون الصواب موافقاً لما يعتقده أهل السنة.

---

(١) انظر على سبيل المثال: المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن لأحمد أبوزيد، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٦م.
وانظر الكتب التي درست بلاغة الزمخشري، والقاضي عبدالجبار.

(٢) انظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة للدكتور منير سلطان، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧م.
وانظر الدراسات البلاغية الكثيرة التي جرت على تفسير البيضاوي وحواشيه.

٥ـ أنه استقر في أذهان بعض طلبة العلم الشرعي ارتباط البلاغة بالمعتزلة والأشاعرة، وأنها لم تقم إلا بهم، وأن إخراجها من دائرتهم كإخراج السمك من الماء.

٦ـ حظيت كثير من كتب المعتزلة والأشاعرة بانتشار بين طلبة العلم، لأنها وجدت من يهتم بها تحقيقاً وطبعاً ونشراً، ولهذا صارت هي المصادر الأولى لدراسة البلاغة في كثير من المؤسسات العلمية التعليمية، ويمكنك التحقق من ذلك حين تتابع طبعات التلخيص والإيضاح[١] للخطيب، وأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز[٢] لعبدالقاهر، والكشاف للزمخشري.

٧ـ لم تحظ الكتب التي تتفق مع منهج أهل السنة، مثل تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، أو الكتب التي هي أقرب إلى منهج أهل السنة مثل: بديع القرآن، وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع، والمثل السائر لابن الأثير، والمصباح لبدرالدين بن مالك، والتبيان للطيبي، لم تحظ هذه الكتب بمثل ما حظيت به كتب تلك الفرق المنحرفة.

٨ـ قلة التنبيه على المخالفات العقدية من البلاغيين خاصة.

---

(١) طبع التلخيص عدداً من الطبعات سواء أكان مفرداً أم بشرح البرقوقي أم مع شروح التلخيص المتعددة وكذا الايضاح بتحقيق مجموعة من أساتذة الأزهر، وبتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ومع البغية لعبدالمتعال الصعيدي.

(٢) وقفت على أكثر من خمس طبعات مختلفة لدلائل الإعجاز لمحي الدين عبدالحميد، ومحمد رشيد رضا، ولمحمد بن تاويت، ولمحمد رضوان الداية، ولمحمد عبدالمنعم خفاجي، وأخيراً للشيخ محمود شاكر.

٩ـ ولما كانت البلاغة صنو الأدب، وقرينة النقد، وحيث إن الأدب والنقد قد حظيا باهتمام الدارسين الغيورين، فكانت الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وإلى المنهج الإسلامي في النقد، وقد وجدت هذه الدعوة قبولاً، وهيأ الله لها الانتشار، وكان هذا الأمر معيناً على تخليص الأدب مما يشوبه ويكدره من أمور مخالفة للإسلام.

كان ذلك دافعاً لإثارة الدعوة إلى تخليص البلاغة مما يشوبها من مخالفات عقدية، فالحاجة إلى ذلك مشابهة لحاجة الأدب والنقد، إن لم تكن أشد.

وكان نجاح الدعوة إلى أدب إسلامي، وإلى توجه إسلامي في النقد مشجعاً على هذه الدعوة لتقتدي البلاغة بقرينيها الأدب والنقد.

تحديد مفهوم أهل السنة:

من المقصود بأهل السنة؟

يستخدم مصطلح أهل السنة ويراد به مجموعة من الدلالات:

١ـ كل من ينتسب للإسلام ما عدا الرافضة.

٢ـ ما يقابل المعتزلة فيدخل فيه الأشاعرة والماتريدية.

٣ـ المعنى الخاص، وهو إطلاقه على السلف الصالح أصحاب الحديث والأثر أو الفرقة الناجية.

فالدلالة الأولى والثانية من الإطلاق العام لهذا المصطلح على تفاوت بينهما، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغيرُ ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[(١)]، وأكثر من يستعمل هذا المصطلح بهذا المفهوم الرافضة، حيث يجعلون المسلمين سنة وشيعة، فالشيعة لهم، والسنة لغيرهم، مع أنهم يطلقون على أهل السنة مصطلحات أخرى كالنواصب

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم: ٢/ ٢٢١، نشر جامعة الإمام، ١٤٠٦هـ.

والجمهور وغيرهما.

وأما الدلالة الثالثة دلالة المفهوم الخاص[١]، وهو إطلاقه على أهل السنة المحضة من السلف الصالح، أو الفرق الناجية، فهو الإطلاق الصحيح وهو المراد في هذا البحث، لأن كل فرقة غير أهل السنة تميزت بمصطلح خاص بها يميزها عن غيرها.

والتعريف المراد هو أن: «أهل السنة هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيهم ﷺ في عقائدهم، وسائر أصول دينهم، ولم يعارضوا نصوصها بالعقل أو الهوى، وتمسكوا بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دعائم الإيمان وأركان الإسلام»[٢].

وهناك مصطلحات أخرى تطلق على أهل السنة بالمعنى الخاص، وهذه المصطلحات هي: (أصحاب الحديث والأثر، والسلف الصالح، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة)[٣].

على مَنْ يُحكم بالسنيّة؟ أعلى الرجال أم على المؤلفات؟:

الأصل أن يكون هذا الوصف للرجال، ولكنّي رأيت أن أجعل حديثي عن إمكان إطلاق هذه الصفة على المؤلفات البلاغية بالدرجة الأولى، وذلك لأسباب منها:

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن علي بن حسن: ١/٢٩ ـ ٣٠، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش: ٣/١٧٧، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: منهج الاستدلال: ١/٣٣، ٣٤، ٣٦.

١ـ أن غرضي هو إبراز منهج أهل السنة في البلاغة، وليس الغرض تعداد الأعلام وتصنيفهم.

٢ـ أنه قد لا يتيسر الوقوف على الحكم القاطع على معتقد الرجل عند المترجمين له، وانظر على سبيل المثال: ابن المعتز (٢٩٦هـ)، وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٩٢هـ)، وابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ)، وضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ)، وعبدالواحد الزملكاني (٦٥١هـ).

٣ـ أنه ربما نسب علم من أعلام البلاغة إلى إحدى الفرق، وفي مؤلفاته ما يخالف ذلك، كأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، والطوفي (٧١٦هـ).

فأبوهلال نسب إلى التشيع[١]، بسبب مجيء عبارة (عليه السلام) بعد اسم امير المؤمنين: علي رضي الله عنه، مع أن هذه العبارة قد تكون من زيادة بعض النساخ كما هو واضح من حواشي كتاب الصناعتين، قالو: ولأن العاملي ترجم له في كتابه أعيان الشيعة[٢]، ونقول أيضاً أن العاملي ترجم لطائفة من الصحابة، ولكثير من أعلام السنة على مرّ القرون، فهل نجعلهم في عداد الشيعة؟!!.

---

(١) انظر: مقدمة محقق كتاب: الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور مروان قباني، ص١٣ ـ ١٤، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٢) أعيان الشيعة للعاملي: ١٥٤/٢٢.

أما الطوفي فقد نفى عنه هذه التهمة كثير ممن درسوا بعض كتبه وحققوها مثل: الدكتور عبدالله التركي في تحقيقه لشرح مختصر الروضة[١]، والدكتور محمد بن خالد الفاضل في تحقيقه لكتابه: الصعقة الغضبية على منكري العربية[٢].

٤ـ أن بعض الأعلام ينسب إلى بعض الفرق، ويكون موافقاً لأهل السنة في كثير من الأبواب، ومخالفته لهم في مواضع قليلة، فهل يُعدُّ من الفرقة التي يُنسب إليها أو إلى التي يوافقها في كثير من آرائها، ويمكن التمثيل على ذلك بالباقلاني، فهو رأس من رؤوس الأشاعرة، قال عنه الإمام الذهبي: «كان سيفاً على المعتزلة والرافضة، والمشبهة، وغالب قواعده على السنة»[٣]، فكونه أشعرياً لا يمنع الإفادة مما وافق فيه أهل السنة، كما سيأتي الحديث عن التعامل مع المخالف.

٥ـ أن العَلَم قد يمر بمراحل في معتقده، فقد يكون في بداية حياته معتزلياً أو أشعرياً، ثم يتحول إلى السنة، فإذا جعلنا الأعمال بالخواتيم، فهل نجعل مؤلفاته قبل تحوله إلى السنة ممثلة لرأيه أم أننا نحكم عليها بخلاف حكمنا عليه؟، ولهذا فالأسلم هو النظر إلى العمل وليس إلى الشخص وحده.

---

(١) شرح مختصر الروضة للطوفي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي: ٣٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
(٢) الصعقة الغضبية، للطوفي، تحقيق الدكتور محمد بن خالد الفاضل، ٩٥ ـ ١٤٠، مكتبة العبيكان، الرياض.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩٣.

ويمكن التمثيل على ذلك بأبي الحسن الأشعري، وبالفخر الرازي، فأبوالحسن الأشعري مرّ بثلاث[١] مراحل في العقيدة.

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال، اعتنق فيها مذهب المعتزلة أربعين عاماً، ثم رجع عنه وصرّح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض، والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلاّب.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث ... كما قرّره في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، وهو من آخر كتبه.

أما الفخر الرازي، فيقول عنه الدكتور عبدالرحمن المحمود: «فلما كان آخر حياته صرح بترجيحه لمذهب السلف، وذلك في كتابيه المتأخِرَيْن: المطالب العالية، وأقسام اللذات، ثم في وصيته قبل وفاته»[٢]، ثم نقل نماذج من تصريحاته.

---

(١) القواعد المثلى في الأسماء والصفات الحسنى، للشيخ محمد العثيمين: ٨٠ - ٨١، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٤/ ٧٢، ١٦/ ٤٧١.
وقد قيل: إن رجوع أبي الحسن الأشعري إلى مذهب أهل السنة رجوع مجمل، انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، عبدالله بن يوسف الجديع، ص٢٦٧-٢٦٩.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتو عبدالرحمن المحمود: ٦٧٤، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، الرياض.

ولو وقفنا على تفسيره المعروف أو كتابه: (نهاية الإيجاز) لوجدنا فيهما مخالفات لمذهب السلف، فقد قال عنه الذهبي: «بدت من تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر»[(١)]، ثم نقل نصاً من وصيّته.

ولذلك فالحكم على كتبه سيكون مختلفاً عن الحكم عليه نفسه.

ولهذه الأسباب، ومن هذا المنطلق رأيت أن أتعامل بالدرجة الأولى مع الكتب مع عدم إغفال أصحابها إن وجدت تصريحاً بمعتقدهم، أو استطعت معرفة ذلك من القرائن.

انتماءات أشهر علماء البلاغة العقدية من خلال كتبهم البلاغية:

إن معرفة القارىء لمعتقد المؤلِّف لا تعني انصرافه عن قراءة المؤلَّف بمجرد وقوفه على معتقده المخالف لمعتقد القارىء، ولكن تلك المعرفة تسهم في إدراك القارىء لمكامن الدس، وانتباهه لمواضع التأويل والتحريف، والقارىء الحصيف يأخذ الحق ممن كان، ويدع الباطل مهما كانت منزلة من يذكره، وقد بينت ذلك في الحديث عن الموقف من المخالف.

وقبل الشروع في الحديث عن انتماءات البلاغيين العقدية

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠٠، ٥٠١.

أودُّ التنبيه إلى الصعوبة البالغة في الحكم على شخص بعينه، كما أشرت إلى ذلك في بداية هذا البحث.

ومنهجي في عرض هذا الموضوع أني أحيل على موضع الإشارة إلى معتقد هذا العلم أو ذاك في كتب التراجم أو غيرها، وربما أحلت على مواضع من الكتاب البلاغي لذلك العلم، وأبين ما وافق معتقد أهل السنة أو ما خالفه.

وسيكون عرض أولئك البلاغيين مرتباً حسب وفياتهم حرصاً على التدرج التاريخي.

يدرك المتتبع لنشأة التأليف البلاغي، أنه بدأ في أوائل القرن الثالث الهجري بصورة اجتهادات متفرقة، ولكنه ظهر على هيئة مُؤلّف عند أبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ) في كتابه مجاز القرآن[١]، ولهذا يعدّ هذا الكتاب من أوائل المؤلفات البلاغية، وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: أن سبب تأليف الكتاب قضية بلاغية حول التشبيه في قول الله عز وجل في سورة الصافات: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾[٢]، والحوار الذي جرى في مجلس الفضل بن الربيع[٣].

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين، ونشرته مكتبة الخانجي بمصر، د.ت، كتبت مقدمته: ١٣٧٤هـ.

(٢) سورة الصافات: ٦٥.

(٣) وفيات الأعيان: ٥/٢٣٦.

وثانيها: أن عنوان الكتاب يحمل كلمة أصبحت مصطلحاً بلاغياً، مع أن أبا عبيدة لم يرد منها ما أراده البلاغيون بعد ذلك، فكل ما في الأمر أن كلمة مجاز عنده إنما تعني التفسير، أو بعبارة أخرى ما تجيزه اللغة.

وثالثها: ما تضمنه الكتاب في مجمله من إشارات لعدد من الموضوعات البلاغية.

وصف[١] أبوعبيدة أنه من أهل السنة، واتهم في دينه[٢]، ونسب إلى الخوارج[٣]، وألصقت به صفة الشعوبية[٤]، وقد تصدى لهذه التهم، وفنّدها الزميل الكريم الدكتور محمد الفاضل في رسالته للماجستير، وبيّن أصول هذه الاتهامات، وأنها راجعة إلى مواقف شخصية.

ولم أقف على ما يقدح في عقيدته في كتابه مجاز القرآن.

* * *

الجاحظ (٢٥٥هـ): يعده طه حسين مؤسس البيان العربي، ولعل السبب في ذلك ما ضمّنه كتابه: (البيان والتبيّن)[٥]، من

---

(١) الردود والتعقيبات لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ص٨٣.
(٢) أبوعبيدة ودراساته النحوية لمحمد الفاضل: ٥٠ ـ ٥٣.
(٣) المصدر السابق: ٥٣ ـ ٥٧.
(٤) المصدر السابق: ٥٨ ـ ٦٩.
(٥) انظر ما قاله عبدالسلام هارون رحمه الله في اسم الكتاب من روايته عن الجاحظ، لفرج بن سلام، كناشة النوادر، لعبدالسلام هارون: ٣٠٩، وانظر: تصريح =

قضايا بلاغية وآراء نقدية إضافة إلى عنوان الكتاب: (البيان) أصبح من بعد اسماً لأحد علوم البلاغة الثلاثة، و(التبيين) هو غاية البلاغة ومقصدها.

ولم يقتصر إسهام الجاحظ في التأليف البلاغي على كتابه السابق، فله كتاب آخر أعظم شأناً، وأكثر قرباً من البلاغة الخالصة، ذلكم هو كتابه نظم القرآن. الذي يظهر من عنوانه، ومن إحالته عليه[١] أنه خاص ببلاغة القرآن، وأن سبب تأليفه ليثبت أن إعجاز القرآن ببلاغة نظمه، وليس بالصرفة كما ذهب أستاذه[٢] إبراهيم بن سيار النظام، وليس جهد الجاحظ البلاغي منحصراً في البيان والتبين، بل له إشارات مبثوثة في الحيوان، والعثمانية وغيرها.

ومعرفة معتقد الجاحظ لا تحتاج إلى جهد، فهو من كبار المعتزلة، بل إن إحدى فرق المعتزلة نسبت إليه الجاحظية[٣].

ومما يحسن التنبيه إليه عند الجاحظ ثلاثة أمور:

الأول: أن ما أورده في كتابه نظم القرآن ليس بين أيدينا

= عبدالسلام هارون في قطوف أدبية حول تحقيق التراث: ٩٧ ـ ٩٨، وقد وعد بتصحيح اسم الكتاب إلى البيان والتبين.

(١) الحيوان للجاحظ: ٣/٨٦.

(٢) انظر مثلاً: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ١٤٤، ١٤٦ ـ ١٤٧، والمعجزة الكبرى لأبي زهرة: ٧٧، ٨٢، ٨٣، وفي الرد على القائلين بالصرفة، انظر: نكت الانتصار للباقلاني: ٢٨٦ ـ ٣٠٦.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: ١٦٠.

حتى نأخذ نماذج من خدمته لمعتقده في آرائه البلاغية، وتحليلاته للنصوص.

الثاني: أن خدمته لمعتقده الاعتزالي ظهرت في حديثه[١] عن تقسيم الخبر إلى ثلاثة: صادق، وكاذب، وليس بصادق ولا كاذب، وهذا ينطلق من أحد أصول الاعتزال الخمسة، وهو: (المنزلة بين المنزلتين).

الثالث: ما أودعه في كتبه عامة، وكتبه البلاغية الأدبية بوجه خاص من نصوص ماجنة، أو مبالغات كاذبة، أو طرائف مختلقة، أراد من ورائها إضحاك القارىء، فوقع في بعض المحاذير، وهذا لا يتلاءم مع وقار المسلم وحشمته.

ذلك كله لا يجعلنا نغفل ما يتميز به الجاحظ من رشاقة في الأسلوب، وحسن في السبك، وبراعة في التصوير، فمن الإنصاف والعدل أن نشير إلى تميزه الأدبي وقدرته الفنيّة، وهذه وسائل إذا استخدمت في سبيل الخير كانت ذخراً لصاحبها، وإن استعملت في سُبل الشر كانت وبالاً عليه.

كما لا يفوتني أن أشيد بما انتقاه الجاحظ من نصوص بعض البلغاء، ومواقف بعض الفصحاء، مما لا يستغني عنه باحث راصد لتاريخ البلاغة.

* * *

(١) تلخيص المفتاح، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح، وعروس الأفراح (شروح التلخيص: ١/ ١٨١ ـ ١٨٢).

ابن قتيبة (٢٧٦هـ): يعد ابن قتيبة حلقة وصل مهمة في تأريخ البحث البلاغي؛ لأنه يمثل مرحلة غفل عنها كثير من المؤرخين لنشأة البلاغة. إذ يشيدون ببدايات الجاحظ، ويقفزون إلى جهد ابن المعتز، وإسهام ابن قتيبة يمثل مرحلة تجميع ما تفرق عند الجاحظ، وتنظيم القضايا البلاغية وترتيبها وتبويبها، وإضافة قضايا مهمة، وربط ذلك كله بالدفاع عن القرآن الكريم ضد الطاعنين فيه، وهو بهذا سابق لابن المعتز متقدم عليه.

وكتاب: (تأويل مشكل القرآن) حوى كثيراً من الموضوعات البلاغية التي اتكأ عليها ابن قتيبة لينبري للدفاع عن القرآن ضد الطاعنين فيه بالزيادة، أو التكرار، أو المجاز، أو غيرها مما هو وثيق الصلة بالبحث البلاغي.

ومع إقراره بالمجاز إلا أنه وظفه لخدمة معتقده السني الذي وصفه[١] شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة، والذي أكّد ذلك وقرره الدكتور علي بن نفيع العلياني في كتابه القيم (عقيدة الإمام ابن قتيبة)[٢].

هذا وإن موقف الإمام ابن قتيبة من إثبات صفة الكلام لله عز وجل ونفي حملها على المجاز، واستدلاله على هذا باللغة نفسها وتراكيب الكلم، كل ذلك يؤكد ما يتمتع به الرجل من قدرة

---

(١) انظر: مقدمة كتاب عيون الأخبار: ١/ ٢٠.
(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٢٦١.

علمية، وانتماء عقدي سليم، فقد قال يرحمه الله عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾: إن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار، ثم بيّن أن مجيء المصدر (التكليم) مؤكداً للفعل (كلّم) ينفي عنه المجاز، فيكون كلام الله حقيقة، دون أن يخوض في حقيقة هذا الكلام وكيفيته دون أن يشبه أو يمثل.

وقد أبرز جهود ابن قتيبة البلاغية عدد من الباحثين، منهم كاتب هذا البحث، إذ كانت رسالته للماجستير بعنوان: (البحث البلاغي عند ابن قتيبة)(١).

هذا ولم يسلم ابن قتيبة من بعض التساهل في ذكر نصوص أدبية تضمنت شيئاً مما يخدش الحياء، وبخاصة في كتابه عيون الأخبار.

* * *

عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ): الذي ألف كتابه: (البديع) سنة (٢٧٤هـ) وليس في كتب التراجم التي وقفت(٢) عليها ما يصرح بمعتقد الرجل، غير أني لحظت أنه في باب الاستعارة لم يذكر فيه ما يخدش المعتقد، وظهر تأدّبه مع القرآن الكريم حين عرض

---

(١) البحث البلاغي عند ابن قتيبة، لمحمد بن علي الصامل، رسالة ماجستير، مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية بالرياض، ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر: تاريخ بغداد: ١٠/ ٩٥ ـ ١٠١، ووفيات الأعيان: ٣/ ٧٦ ـ ٨٠.

للنوع الخامس من البديع الذي سمّاه (المذهب الكلامي)، فقال: «هذا باب ما أعلم أني وجدتُ في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[١]، وقد كان يعرض أمثلة لأنواع البديع التي أوردها في كتابه مبتدئاً بالقرآن الكريم في جل الأنواع، وهذا يلائم منهجه الذي سار عليه، ليؤكد ما ذكره من أن المتأخرين لم يخترعوا البديع، وإنما هو موجود في القرآن الكريم، وأشعار العرب الأقدمين، وكلام الصحابة ومن بعدهم.

ومما يمكن التنبيه عليه مما يعدّ مأخذاً لا يتلاءم مع منهج أهل السنة البلاغي ـ كما أراه ـ تساهله في إيراد بعض النصوص المشتملة على الفحش في بابي[٢]: الكناية والتعريض، والتشبيه.

* * *

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ): له كتاب عيار الشعر[٣]، ينتهي نسبه إلى علي رضي الله عنه[٤]، ولم أقف في ترجمته ما يكشف النقاب عن معتقده، ولكن إقامته بأصبهان[٥] تعطي انطباعاً حسناً عنه، لأن غلاة الشيعة كان مقرهم قم[٦] في تلك الفترة.

---

(١) البديع: ٥٣.

(٢) انظر: البديع: ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٢.

(٣) طبع وحقق عدداً من التحقيقات، من أفضلها ـ كما أرى ـ تحقيق الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، ونشرته دار العلوم بالرياض، ١٤٠٥هـ.

(٤) معجم الأدباء: ١٧/ ١٤٣.

(٥) انظر: مقدمة محقق عيار الشعر (د. المانع)، ص: ١٠ ـ ١١.

(٦) انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص: ٨٠.

ثم إنه اقتصر في كتابه على موضوع الشعر فحسب كما يؤكد ذلك عنوانه، ولم أجد فيه ما يمكن تدوينه في الجوانب العقدية، غير أن الكتاب تسلل إليه ما تسلل إلى كتب الأدب عادة من الشواهد التي تخدش الحياء[١]، مع أن الطابع العام للاختيارات الشعرية في الكتاب موفق إلى حد بعيد.

* * *

إسحق بن إبراهيم ين سليمان بن وهب (٣٣٥هـ): له كتاب البرهان[٢] في وجوه البيان، الذي نشر بعضه بعنوان نقد النثر ونسب لقدامة، وفي هذه النشرة التي صُدِّرتْ بمحاضرة الدكتور طه حسين عن نشأة البيان العربي، والتي صرح فيها بأنه يشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى قدامة، وأنه ربما يكون لكاتب شيعي ظاهر التشيع[٣]، وقد صدق حدس طه حسين، إذ ثبت أن الكتاب لأبي الحسين إسحق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، وفي الكتاب ما يعين على الشك بأنّ مؤلفه شيعي، فحين تحدث عن الخبر وذكر أقسامه جعل القسم الثاني منه: «خبر الرسل عليهم السلام، ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من

---

(١) انظر مثلاً: عيار الشعر: ٢٠٨.

(٢) طبعة بعد تحقيقه، وتصحيح نسبته، وتصويب اسمه الدكتور حفني محمد شرف، ونشرته مكتبة الشباب بالقاهرة، د.ت. وهناك تحقيق آخر لكتاب البرهان للدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، وصدر في بغداد.

(٣) نقد النثر: ١٩.

العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم، وظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل»[١]، ففي هذا الكلام يجعل ابن وهب خبر الأئمة كخبر الرسل من حيث العصمة.

وهذا النص كافٍ في توجيه تهمة التشيع لابن وهب، غير أن محقق الكتاب[٢] يرجح أنه سني، ويعزو تهمة التشيع إلى نقوله لبعض النصوص[٣] التي تمثل بعض آراء الشيعة، وسوّغ المحقق ترجيحه بأن المؤلف ذكر في كتابه آراء تخالف ما عليه الشيعة، كالموقف من السلطان[٤] وغيره.

أقول قد يكون المؤلف شيعياً، ولكنه ليس من غلاتهم، أو يكون مخالفاً لهم في بعض الآراء ـ والله أعلم ـ.

❋ ❋ ❋

قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ): له كتاب (نقد الشعر)[٥]، وله كتاب آخر لعله بعنوان: (نقد النثر)، ولكنه غير الكتاب الذي نشر بهذا العنوان[٦]، وثبت أنه كتاب البرهان لابن وهب، لأن ابن أبي

---

(١) البرهان في وجوه البيان: ٨٧ ـ ٨٨.
(٢) الدكتور حفني محمد شرف.
(٣) انظر: البرهان لابن هشام: ٢٢، ٤٣.
(٤) انظر: البرهان لابن وهب: ٤٣.
(٥) طبع عدة طبعات من أفضلها طبعة بتحقيق كمال مصطفى، نشر مكتبة الخانجي، ط٣.
(٦) انظر: نقد النثر المنسوب لقدامة، بتحقيق طه حسين، وعبدالحميد العبادي.

الإصبع[١]، وصفي الدين الحلي[٢] حين عدّدا المصادر التي اعتمدا عليها ذكرا منها (نَقْدي قدامة)، وهو يعني أن له كتابين في النقد.

ويحتمل أن المراد بنقد النثر ما ضمنه كتابه: (الخراج وصناعة الكتابة)، فقد أورد في المنزلة الثالثة حديثاً عن البلاغة، وصنعة الكتاب تدور حول موضوع النثر.

ومما قيل في ترجمته أنه برع في الفلسفة والمنطق، وهذا يظهر واضحاً في تقسيمه لأبواب كتابه (نقد الشعر) وموضوعاته.

ومما يحسن التنبيه عليه أن قدامة حين تحدث عن معاني الشعر قال:

«وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة، والمدح والعضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة»[٣]، وكأنه بهذا النص لا يأبه بغير التجويد الفني وإكمال الحديث عن الموضوع مهما كان فيه من فحش (رفث)، أو بهتان وكلام قبيح (العضيهة)، وهذا يندرج في مفهوم نظرية الشعر للشعر أو الفن للفن، فالغاية هي التجويد الفني، سواء أكان المعنى محموداً أم مذموماً.

---

(١) انظر: تحرير التحبير: ٨٧.
(٢) شرح الكافية البديعية: ٣٣٥.
(٣) نقد الشعر: ١٩.

وفي هذه النظرة انفلات من ضوابط الإسلام للشعر[١]، وإطلاق هذا القول يبيح لمن أراد أن يقول ما يشاء شريطة أن يبلغ به غايته، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[٢].

* * *

علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ): له كتاب في البلاغة، هو رسالة في بلاغة القرآن عنوانها: (النكت في إعجاز القرآن)[٣] جعل البلاغة فيه عشرة أقسام:

١ـ الإيجاز.
٢ـ التشبيه.
٣ـ الاستعارة.
٤ـ التلاؤم.
٥ـ الفواصل.
٦ـ التجانس.
٧ـ التصريف.
٨ـ التضمين.
٩ـ المبالغة.
١٠ـ حسن البيان.

---

(١) انظر: كتاب الالتزام الإسلامي في الشعر للزميل الكريم الدكتور ناصر الخنين: ١٠٣ ـ ١٧٢.
(٢) سورة ق: ١٨.
(٣) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٥ ـ ١١٣.

وله كتاب في التفسير ضمّنه كثيراً من آرائه البلاغية، وأظن أن الزمخشري أفاد منه كثيراً.

والرماني معتزلي متشيع[١]، قال عنه الذهبي: «كان يقول: عليّ أفضل الصحابة، وكان من أوعية العلم على بدعته»[٢].

ومن خدمته لمعتقده الاعتزالي ما ذكره في باب المبالغة، إذ قال: «الضرب الثاني من المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، وكقول القائل: أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالغ في العبارة عنهم»[٤]، وقد خرّج الآية، وجعلها من المبالغة؛ لينفي ما يتعارض مع رأي المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعاله؛ ولأن أفعال العباد فيها ما هو قبيح؛ ولذلك فرأيهم أن: «أفعال العباد المباشرة باتفاق المعتزلة أنها مخلوقة للعباد»[٥]، وهكذا يبدو اتكاء الرماني على موضوع المبالغة، لينفذ منه لتحقيق مأربه.

ومثال آخر على خدمة الرماني لمعتقده إذ جعل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[٦] من الضرب الثالث من

---

(١) انظر: تاريخ بغداد: ١١/١٦، ومعجم الأدباء: ١٤/٧٣، وسير أعلام النبلاء: ١٦/٥٣٣ ـ ٥٣٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٦/٥٣٤.
(٣) سورة الأنعام: ١٠٢.
(٤) النكت في إعجاز القرآن: (ثلاث رسائل: ١٠٤).
(٥) المعتزلة وأصولهم الخمسة: ١٦٨.
(٦) سورة الفجر: ٢٢.

المبالغة، وأعقبه بقوله: «فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه»[١]، قال ذلك لينفي عن الله جل وعلا صفة المجيء.

وفي باب التجانس ـ عند الرماني ـ الذي أصبح فيما بعد يعرف بالازدواج عند ابن أبي الإصبع[٢]، أو المشاكلة عند المتأخرين من البلاغيين، أورد عدداً من الآيات المتضمنة لبعض الصفات، كالاستهزاء، والمخادعة، والمكر، وذكر هذه الآيات في مثل هذا الباب إنما يعني أن إطلاقها على الله جل وعلا ليس حقيقة، وإنما هو من باب المشاكلة والتجانس اللفظي، وأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

* * *

أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ): له كتاب مشابه لكتاب الرماني في حجمه، وعنوانه: (بيان إعجاز القرآن)[٣]، وقد نشر معه ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

والخطابي من أهل السنة بالمعنى الخاص، وإن أخذت عليه بعض التأويلات، فيذكر أحد الباحثين[٤] الذين خصوا الخطابي

---

(١) النكت في إعجاز القرآن (انظر: ثلاث رسائل من: ١٠٥).

(٢) تحرير التحبير: ١٥١، وبديع القرآن: ٥٦.

(٣) نشرت بتحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر.

(٤) هو الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحماد، في أطروحته للماجستير، التي تقدم بها =

بدراسة مستقلة كان موضوعها: (منهج الخطابي في العقيدة) ذكر في ختامها أن: «الخطابي وافق أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، وأن مخالفته لهم اتضحت بصورة جلية في توحيد الأسماء والصفات[(١)]، ولكن هذه المخالفة ليست مخالفة عناد واستكبار، وإنما هي اجتهاد محتملة للخطأ والصواب»[(٢)]، ويعلل الباحث الكريم مخالفة الخطابي لمنهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات بقوله: «في تقرير الخطابي لتوحيد الأسماء والصفات خالف سلف الأمة في بعض المسائل ـ مع أنه من أفضل من نقل إلينا مذهب السلف نقلاً صحيحاً ـ فنفى عن الله ـ سبحانه ـ بعض الألفاظ التي لم يردِ الدليل بنفيها أو إثباتها ظناً منه أن إثباتها يستلزم التجسيم، كما أنه سلك في إثبات الصفات طريقة مخالفة في معظمها لطريقة سلف الأمة، إذ إنه يرى وجوب أن تكون الصفات ثابتة بطريق الكتاب أو السنة المتواترة، أو الآحاد الذي له أصل في الكتاب أو السنة المتواترة، وما عدا ذلك، فإنه يجب تأويله»[(٣)]، والحق أن الخطابي لم يخالف أهل السنة في حديثه عن كل الصفات، بل «وافق أهل السنة في إثبات بعض الصفات إثباتاً لائقاً بالله سبحانه، فأثبت العلو، والاستواء،

= لقسم العقيدة في كلية أصول الدين بالرياض، عام ١٤١٥هـ.

(١) سبقه إلى هذه الإشارة الزميل الكريم الدكتور أحمد بن عبدالله الباتلي عند حديثه عن عقيدة الإمام الخطابي في رسالته الإمام الخطابي وآثاره الحديثة ومنهجه فيها، ص٩٠.

(٢) منهج الخطابي في العقيدة: ٦٩٦.

(٣) منهج الخطابي في العقيدة: ٦٩١.

والكلام، واليد، والوجه، والسمع، والبصر، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

وخالف أهل السنة بتأويل بعض الصفات؛ كالنزول، والإتيان، والمجيء، والضحك، والفرح، والأصابع، والقدم، والساق، والرجل»[(١)].

والذي يهمنا في أثره البلاغي أنه خلا مما يخالف معتقد أهل السنة، بل إني أعدّ رسالته (بيان إعجاز القرآن) من النماذج التي تمثل بلاغة أهل السنة بالمعنى الخاص.

* * *

أبوعلي محمد بن الحسن الحاتمي (٣٨٨هـ): له كتاب: حلية المحاضرة[(٢)]، والرسالة الحاتمية[(٣)]، والرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره[(٤)]، وهذه الثلاثة هي المطبوعة من مؤلفاته، وله مؤلفات أخرى ذات صلة بالبحث البلاغي والنقدي ـ كما يظهر من عنواناتها ـ وهي[(٥)]:

---

(١) المصدر السابق: ٦٩٢.

(٢) طبع الكتاب محققاً مرتين وكلتا الطبعتين ناقصة، لوجود خرم في الأصل المخطوط، ولكن طبعة الدكتور جعفر الكتاني ١٩٧٩م، أوفى من طبعة هلال ناجي ١٩٧٨م.

(٣) طبعت ضمن (مجموعة التحفة البهية) في الأستانة، ١٣٠٢هـ.

(٤) طبعت بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ونشر دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥هـ.

(٥) انظر: مقدمة تحقيق حلية المحاضرة للدكتور جعفر الكتاني، ص: ١/ ٧٧.

ـ المجاز في الشعر، والحالي والعاطل، وتقريع الهلباجة في صناعة الشعر، وسر الصناعة في الشعر.

ولم أقف في ترجمته(١) على ما يفصح عن معتقده، ويظهر من الاطلاع على كتبه المطبوعة أنه مطلع على الثقافة اليونانية(٢)، ويبدو هذا الأمر واضحاً في محاولته رَجْعَ شعر المتنبي إلى أصول فلسفية أرسطوطاليسية، وهذا هو موضوع الرسالة الحاتمية.

كما يظهر من هذه المؤلفات أنها في مجملها تدور حول الشعر وصناعته وبلاغته ونقده.

وقد نبّه الدكتور جعفر الكتاني محقق حلية المحاضرة إلى أمر مهم لحظه على أبي علي الحاتمي يقول فيه: «وأود أن لا أخفي عجبي من ضحالة الثقافة الدينية لدى الحاتمي، أو على الأقل من ضحالة دلالتها على ثقافته من خلال المعروف من مؤلفاته، فإذا استثنينا العبارة التي رواها ابن منقذ عن إعجاب الحاتمي بآية من القرآن، فإننا لا نكاد نعثر له فيما نعرفه له من كتابات على شيء يدل على أنه تأثر بالقرآن سواء في الاستدلال به استدلالاً لغوياً أو في الحفاظ على المعتقدات الدينية، وهو أمر شديد الغرابة بالقياس إلى رجل يكتب عن البلاغة العربية التي استهلت في تأريخها بالبحث في مجاز وإعجاز القرآن، اللهم إلا تلك الفقرات التي نقلها من القرآن لباعث غير الاستدلال على

(١) انظر مثلاً: معجم الأدباء: ١٨/ ١٥٤ ـ ١٧٩.
(٢) انظر: مقدمة الدكتور الكتاني: ١/ ١٦، ٩٧.

الإعجاز أو جمال التعبير»[١]. ولعل مما يعضد كلام المحقق الكريم أنه لم يرد في كتاب حلية المحاضرة المطبوع من شواهد القرآن على محاسن البديع التي أوردها سوى إحدى عشرة أيةً، ويمكن الاعتذار لأبي علي بأن موضوعه الحديث عن الشعر، فحاجته إلى الاستشهاد بالقرآن قليلة.

ومع ذلك كله فقد كان إيراده لبعض الآيات سبباً في وقوعه في خطأ عقدي خالف به مذهب أهل السنة والجماعة، إذ أورد قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾، وقوله تعالى عز وجل في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ ذكرهما عقب بيت عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وتعليقه[٢] يفيد أنه يجعل في الآيتين مشاكلة، وهذا فيه تأويل لصفتين من صفات الله هما: المكر، والاستهزاء.

وموضع آخر ذكر فيه قوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ ونقل قولاً للخليل في معنى الاستواء، وأنه الارتفاع، وعقب عليه بقوله: «والوجه أن معنى قوله تعالى ﴿استوى﴾: استولى، وينشدون:

قد استوى بشرٌ على العراق ... بغير سيف أو دم مهراق»[٣]

---

(١) حلية المحاضرة (مقدمة المحقق د. الكتاني): ١/ ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) حلية المحاضرة: ١/ ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٣٨٦.

وهذا فيه تأويل لصفة الاستواء، وعدم اعتداد برأي الخليل، وهو من هو في معرفة اللغة، والرد عليه بقول الشاعر المجهول ينبىء عن موقف عقدي في تأويل الاستواء[١].

* * *

علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ): وله كتاب (الوساطة[٢] بين المتنبي وخصومه) ضمنه كثيراً من الآراء البلاغية والنقدية، وذكر المترجمون[٣] له أنه فقيه شافعي، ولم يقدح فيه الذهبي[٤].

ولما كان موضوع كتابه هو التوسط بين المتنبي وخصومه، فإن هذا قد لا يعين على معرفة التجاوزات العقدية ـ إن كان ثم تجاوزات؛ لأن الموضوع يدور في فلك الشعر.

بيد أن قضية نقدية مهمة ذكرها القاضي الجرجاني جديرة بالتنبيه عليها، وهي قوله: «الدين بمعزل عن الشعر»[٥]، قال ذلك حين تحدث عن فساد العقيدة في الشعر[٦]، ليجعل من ذلك حجة للدفاع عن أبي الطيب المتنبي الذي وقع في أخطاء رصدها عليه

---

(١) انظر: كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم: ١/ ٨٨، ٩٠، ٢/ ١٨١.
(٢) طبع عدة طبعات من أكثرها انتشاراً تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، ونشر دار إحياء الكتب العربية.
(٣) انظر مثلاً: طبقات الشافعية للسبكي: ٣/ ٤٥٩ ـ ٤٦٢.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩ ـ ٢٠.
(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٦٤.
(٦) المصدر السابق: ٦٣ ـ ٦٤.

النقاد، ومهما كان تسويغ هذا القول، فإن الجرجاني ـ عفا الله عنه ـ قد زل بهذا القول قلمه، وصارت هذه العبارة مطية سهلة لأنصار ما يسمى: (الفن للفن).

وقد ناقش هذه المسألة مناقشة علمية مفصلة الزميل الكريم ناصر الخنين في كتابه القيم (الالتزام الإسلامي في الشعر) بما لا مزيد عليه[١].

* * *

أبوهلال العسكري (٣٩٥هـ): له كتاب الصناعتين[٢]، ويرى بعضهم أن أبا هلال شيعي، ومن أدلته على ذلك، وورود عبارة (عليه السلام) بعد اسم علي رضي الله عنه[٣]، وهذه لا تعد دليلاً على تشيعه، لأنه ربما كانت هذه العبارة من إضافات النساخ، ولكنهم يسوقون دليلاً آخر على تشيعه، هو أن العاملي ترجم له في أعيان الشيعة[٤]، وهذا الدليل ليس قطعياً، فليس كل من ترجم لهم العاملي شيعة.

وقد رجح محقق كتاب (الحث على طلب العلم)[٥] أن

---

(١) انظر: الالتزام الإسلامي في الشعر: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، ٣٠٣ ـ ٣٠٧.

(٢) طبع طبعات عديدة من أفضلها تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ونشر دار إحياء الكتب العربية، وعلمت أن الشيخ محمود شاكر يحقق الكتاب على نسخة بخط المؤلف.

(٣) انظر: الحث على طلب العلم، ص١٣.

(٤) أعيان الشيعة: ٢٢/ ١٥٤.

(٥) هو الدكتور مروان قباني.

أباهلال شيعي معتدل ويميل إلى الاعتزال[١].

وقد وقفت على نص في كتاب الصناعتين يعضد ما رآه المحقق الفاضل من ميل أبي هلال للاعتزال، فقد قال، وهو يتحدث عن أهمية معرفة علم البلاغة وتقديمه: «فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم، بعد **توحيد الله تعالى**، ومعرفة **عدله**، والتصديق **بوعده ووعيده**...»[٢]، فهذه ثلاثة من أصول المعتزلة ضمّنها كلامه هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد.

وأودّ التنبيه إلى ثلاثة مواضع في كتاب الصناعتين:

الأول: أن أباهلال ذكر في باب المقابلة قول الله جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾، ثم قال: «المكر من الله العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته»[٣]، وهو بهذا يؤول صفة المكر اعتماداً على ما سمّاه المقابلة، وأصبح فيما بعد يعرف بالمشاكلة عند البلاغيين.

والثاني: أنه قال في معرض حديثه عن استعمال ما يبهم على السامع فهمه «وأما ما يستبهم فلا يعرف معناه إلا بالتوهم، فهو مثل قول أبي تمام:

---

(١) انظر: الحث على طلب العلم: ١٤.

(٢) كتاب الصناعتين: ص٢.

(٣) كتاب الصناعتين: ٣٣٧.

جهيمة الأوصاف إلا أنهم قدلقّبوها جوهر الأشياء

فوجه الاشتراك أن لجهم مذاهب كثيرة وآراء مختلفة متشعبة، لم يدل فحوى كلام أبي تمام على شيء منها يصلح أن يشبه به الخمر، وينسب إليه، إلا أن يتوهم المتوهم فيقول: إنما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير أن يدل الكلام منه على شيء بعينه»[1]، ففي هذا النص إيماء إلى تعدد مذاهب الجهم وتشعبها، مما يوحي بموقف لأبي هلال مخالف للجهم، ولكنه لا يصرح بشيء، ولعل السبب يعود إلى أنه ليس بصدد الحديث عن الشخص لذاته، وإنما عن تفسير كلام أبي تمام.

الثالث: أن أباهلال حين تحدث ـ في باب الإيجاز ـ عن وجوه الحذف ذكر عدداً من الآيات، لم يذكر منها آيات صفات[2]، وبخاصة قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، مع أنها من أشهر أمثلة الحذف عند البلاغيين والنحويين.

أقول: لعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

أولهما: أنه اعتمد في هذا الباب خاصة على ما ذكره ابن قتيبة في باب الحذف في كتابه تأويل مشكل القرآن، وقد أثبتُّ ذلك بأدلة علمية في بحثي (البحث البلاغي عند ابن قتيبة)[3]

---

(١) المصدر السابق: ٣٤.
(٢) كتاب الصناعتين: ١٨١ ـ ١٨٩.
(٣) انظر: البحث البلاغي عند ابن قتيبة: ٣٢٨ ـ ٣٣١.

وموقف ابن قتيبة في هذه الآية واضح جلي، فلا يراها من باب الحذف.

وثانيهما: أنه ليس بالمعتزلي الجلد الذي يأخذ على نفسه خدمة الاعتزال كلما سنحت له الفرصة.

ومما يقوي السبب الثاني أن المآخذ العقدية في كتاب الصناعتين قليلة، ولكن لا بد من التنبه إليها.

* * *

أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ): له كتاب: إعجاز القرآن[١]، وكتاب: الانتصار للقرآن[٢]، يشتمل كل منهما على موضوعات بلاغية مهمة.

ذكر الذهبي أن الباقلاني «صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه»[٣]، وأشعرية الباقلاني أشهر من أن يبحث لها عن أدلة، فهو المؤسس الثاني للمذهب الأشعري وفق ما وصفه أحد

---

(١) طبع بتحقيق السيد أحمد صقر، ونشر دار المعارف.

(٢) الموجود من هذا الكتاب هو المجلد الأول، نشره فؤاد سزكين مصوراً عن مخطوطة مكتبة قرة مصطفى باشا. وما نشر تحت عنوان: (نكت الانتصار لنقل القرآن) منسوباً للباقلاني بتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، ما هو إلا مختصر للانتصار اختصره محمد بن عبدالله الصيرفي، وترتيب عبدالجليل الصابوني، وهو لا يلتزم بأصل الانتصار.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩٠.

الباحثين[١].

وقد ضمّن كتابيه: إعجاز القرآن، والانتصار للقرآن حديثاً عن إعجاز القرآن الكريم، والرد على الطاعنين في القرآن، وإن كان قد صرّح في كتابه إعجاز القرآن أنه أراد من تأليفه الكشف عن إعجاز القرآن دون الرد على الملاحدة[٢]، ومع ذلك فقد اشتمل الكتاب على مجموعة من الردود كما سنعرف لاحقاً إن شاء الله.

وأما الانتصار للقرآن، فقد كان دفاعاً عن القرآن ضد كل الشكوك والأسئلة، وفيه ردود وتعقيبات على كثير من الاعتراضات من مختلف الفئات.

ومما يحسن التنبيه عليه ما يلي:

أولاً: رده على المعتزلة في قضية القدر المعجز من القرآن[٣].

ثانياً: رده على أبي هاشم الجبائي المعتزلي في قوله إن إعجاز القرآن كان بسبب أن جبريل أنزله[٤].

ثالثاً: نقده لكتاب الجاحظ (نظم القرآن) وأنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله[٥].

---

(١) هو الدكتور عبدالرحمن المحمود في كتابه: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٥٤٩.
(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٣) إعجاز القرآن: ٢٥٤ ـ ٢٥٨.
(٤) المصدر السابق: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٥) المصدر السابق: ٦.

رابعاً: رده على من زعم أن القرآن شعر، وعلى من يفضل الشعر على القرآن[١].

خامساً: رده على من قال بالصرفة[٢].

سادساً: رده على من زعم أن ابن المقفع قد عارض القرآن[٣].

سابعاً: رده على بعض الأشاعرة ممن جعل كون الأحكام الشرعية معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل وجهاً من وجوه الإعجاز[٤].

ثامناً: أخذه بأقوال الأشاعرة في كثير من قضايا إعجاز القرآن، ونقله عنهم، والاعتداد بآرائهم، وكثيراً ما يقول: (قال أصحابنا) ويعني بهم الأشاعرة[٥].

والباقلاني أوتي حظاً واسعاً من العلم وقدرة عجيبة على المناظرة، وينبغي الإفادة من ردوده على الملاحدة، والرافضة، والمعتزلة في قضايا إعجاز القرآن.

* * *

محمد بن الحسين الشريف الرضي (٤٠٦هـ): له كتاب:

---

(١) إعجاز القرآن: ٤ ـ ٥، ٢١٥ ـ ٢١٨، وانظر: نكت الانتصار: ٢٧٢.
(٢) إعجاز القرآن: ٥، ٢٩ ـ ٣١، وانظر: نكت الانتصار: ٢٨٦.
(٣) إعجاز القرآن: ٣٢.
(٤) المصدر السابق: ٤٧.
(٥) المصدر السابق: ٢٣، ٣٣، ٤٧، ١٠٧ ـ ١١٢، ٢٧٥ ـ ٢٨٦، ٢٢٩ ـ ٢٩٠.

تلخيص البيان في مجازات القرآن[١]، وكتاب المجازات النبوية[٢].

وصفه الذهبي بأنه نقيب الطالبيين[٣].

ومما يحسن التنبيه عليه أن المجاز عند الشريف الرضي كان مطية لتأويل عدد من الصفات؛ كالاستهزاء[٤]، والاستواء[٥]، والوجه[٦]، والمكر[٧]، واليدين[٨]، والنفس[٩]، والعين[١٠]، والقبضة، واليمين[١١]، والمجيء[١٢].

* * *

أبو الحسن عبدالجبار الأسدآبادي (٤١٥هـ) الشهير بالقاضي عبدالجبار: له كتاب في إعجاز القرآن[١٣]، هو الجزء السادس عشر من كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، وله كتاب آخر

---

(١) طبع بتحقيق محمد عبدالغني حسن، ونشر دار إحياء الكتب العربية.
(٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٥٦هـ.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٨٥.
(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ١١٣.
(٥) المصدر السابق: ١١٥، ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٦) المصدر السابق: ١١٨، ٣٢١.
(٧) المصدر السابق: ١٢٣.
(٨) المصدر السابق: ١٣٣.
(٩) المصدر السابق: ١٣٥.
(١٠) المصدر السابق: ١٦١، ٢٤١.
(١١) المصدر السابق: ٢٨٧.
(١٢) المصدر السابق: ٣٢٣.
(١٣) طبع بتحقيق أمين الخولي، ونشر وزارة الثقافة بمصر، عام ١٣٨٠هـ.

هو متشابه القرآن[١].

أعد الدكتور عبدالفتاح لاشين عنه دراسة[٢] قيمة جمع فيها آراءه البلاغية من تراثه المنشور.

والقاضي عبدالجبار من رؤوس المعتزلة ومنظريهم، وقد خدم معتقده الاعتزالي من خلال كثير من آرائه البلاغية.

ويكفي أن أدون ما ذكره الدكتور لاشين في خاتمة بحثه عن القاضي عبدالجبار إذ وصفه: «بأن كان أبرع المعتزلة تأويلاً للآيات القرآنية؛ لتطابق مذهبهم»[٣]، فهذا يدل على قدرة عبدالجبار على خدمة معتقده من خلال التأويل الذي استخدم فيه كثيراً من أبواب البلاغة كالحذف[٤]، والتمثيل[٥]، والاستعارة[٦]، والمجاز المرسل[٧]، والكناية[٨]، والمشاكلة[٩]، والتورية[١٠]، وهي كما ترى شاملة لعلوم البلاغة الثلاثة.

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور عدنان زرزور، ونشر دار التراث، القاهرة، وصدر له طبعة أخرى.

(٢) في كتابه بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية، نشر دار إحياء الفكر العربي، والكتاب هو أطروحة الدكتوراه للدكتور عبدالفتاح لاشين.

(٣) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار: ٧٩٢.

(٤) المصدر السابق: ١٧٨، ٧٣٤.

(٥) المصدر السابق: ٣٠٤، ٦٢٣.

(٦) المصدر السابق: ٢٤١، ٢٩٢.

(٧) المصدر السابق: ٣١٦، ٥٨٠.

(٨) المصدر السابق: ٣٧٧، ٣٧٨.

(٩) المصدر السابق: ٣٩٧، ٤٠٠.

(١٠) المصدر السابق: ٤٠٤، ٤٠٦.

الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ): له كتاب: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده[١].

لم أقف في ترجمته[٢] على ما يبيّن معتقده، ولكني رأيته في بابي المجاز، والتجنيس يؤول بعض صفات الفعل لله عز وجل.

ذكر في باب المجاز قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾، ثم قال: «وإنما سمي ذلك مكراً منه؛ لكونه مجازاةً عن مكر»[٣].

وفي باب التجنيس أورد قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[٤]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٥]، وعقب عليها بقوله: «وكل هذه استعارات ومجاز، لأن المراد المجازاة، فزاوج بين اللفظين»[٦]، والآيات الثلاث تدخل ـ عند جمهور البلاغيين ـ في باب المشاكلة، وإدخالها في بابي المجاز والتجنيس عند ابن رشيق لا يعارض كونها من باب المشاكلة وفق فهم ابن رشيق والبلاغيين.

* * *

---

(١) طبع مرات عديدة، من أفضلها تحقيق الدكتور محمد قرقزان، ونشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
(٢) انظر مثلاً: معجم الأدباء: ٨/ ١١٠ ـ ١٢١، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ٣٢٤.
(٣) العمدة تحقيق قرقزان: ١/ ٤٥٧.
(٤) سورة النساء: ١٤٢.
(٥) سورة البقرة: ١٤ ـ ١٥.
(٦) المصدر السابق: ١/ ٥٦٢، ٥٦٣.

أبومحمد عبدالله بن محمد بن سعيد ين سنان الخفاجي (٤٦٦هـ): له كتاب سرّ الفصاحة[١]، وكتاب الحكم بين النظم والنثر[٢].

لم أقف على نص صريح يبيّن معتقده[٣]، ولكن يظهر أنه يرى رأي الشيعة، وقد ارتبط بولاء للدولة الفاطمية[٤]، ونقل عن الشريف المرتضى ودعا له أحياناً بقوله: «نضّر الله وجهه»[٥]، وأحياناً: «رضي الله عنه»[٦].

ويظهر لي أنه يجمع إلى تشيعه الاعتزال، لأنه أثنى على أهل الكلام وأن ما يرونه هو الأصل والأس[٧]، ونقل الجبائي[٨]، والقاضي عبدالجبار[٩]، والعلاف[١٠]، وحديثه عن معنى الكلام[١١] يطابق رأي المعتزلة، وقد جزم عبدالمتعال الصعيدي

(١) طبع مرات عديدة منها طبعة بشرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي: ١٣٨٩هـ.
(٢) ذكره بعض المترجمين له ومنهم ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات: ٢/ ٢٢٢، وقد ذكر ابن سنان في آخر كتابه سر الفصاحة فصلاً عن الفرق بين المنظوم والمنثور.
(٣) انظر مثلاً: فوات الوفيات: ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤.
(٤) كتاب سر الفصاحة: دراسة وتحليل، د. عبدالرزاق زايد ص١٢، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
(٥) انظر: سر الفصاحة، ص١٠.
(٦) المصدر السابق: ٢٨٠.
(٧) المصدر السابق: ٥.
(٨) المصدر السابق: ١٠/ ٤٣.
(٩) المصدر السابق: ١١.
(١٠) المصدر السابق: ٤٣.
(١١) المصدر السابق: ٣٦، ٤٣.

بأن ابن سنان من المعتزلة[١].

* * *

عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (٤٧١هـ): له كتابان من أهم ما ألف في البلاغة العربية هما: أسرار البلاغة[٢]، ودلائل الإعجاز[٣]، وله رسالة في الإعجاز هي الرسالة الشافية[٤].

قال عنه الذهبي: «شيخ العربية، كان شافعياً عالماً أشعرياً، ذا نسك ودين»[٥].

والمطلع على كتبه لا يخفى عليه دفاع عبدالقاهر عن آراء الأشاعرة وردوده على المعتزلة في : دليل الإعجاز[٦]، وتحدث عن قضية اللفظ عند المعتزلة[٧]، وردّ على القاضي عبدالجبار في قضية اللفظ[٨]، وبين خطأ المعتزلة في قولهم بالصرفة[٩]، وفي ظنهم أن المزية للفظ[١٠]، وشبهتهم في

---

(١) سر الفصاحة: ٣٠، شرح عبدالمتعال الصعيدي.
(٢) طبع مرات عديدة أفضلها تحقيق الشيخ محمود شاكر، ونشر الخانجي.
(٣) طبع مرات عديدة أكثر من الكتاب السابق، وأفضل طبعاته تحقيق الشيخ محمود شاكر، ونشر الخانجي.
(٤) طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، وطبعها الشيخ محمود شاكر في آخر دلائل الإعجاز.
(٥) سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٣٣.
(٦) انظر: دلائل الإعجاز: ٣٨.
(٧) المصدر السابق: ٤٣، ٤٠٠، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٦.
(٨) المصدر السابق: ٦٣.
(٩) المصدر السابق: ٣٩٠.
(١٠) المصدر السابق: ٣٩٣.

النظم[١]، وتعويلهم على نسق الألفاظ، ثم الاحتذاء والابتداء[٢].

وقد وقع ـ غفر الله له ـ في تأويل عدد من الصفات كالاستهزاء، والمكر، والمخادعة[٣]، والعينين، واليمين، والمجيء[٤].

* * *

الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ): له كتاب الكافي في العروض والقوافي[٥]، عرض فيه مجموعة من فنون البديع.

ليس في كتب التراجم[٦] التي وقفت عليها ما ينص على بيان معتقده، كما أن كتابه خاص بالشعر وما يتصل به من عروض وقافية وبديع، ولم أقف على ما يمكن أن يكشف عن معتقده أو يقدح فيه.

* * *

ابن طاهر البغدادي (٥١٧هـ): له كتاب قانون البلاغة[٧]،

---

(١) المصدر السابق: ٤١٨.
(٢) المصدر السابق: ٤٦٧.
(٣) المصدر السابق: ٢٣٢، ٢٣٤.
(٤) انظر: أسرار البلاغة: ٥٠، ٣٥٨، ٣٩١.
(٥) العنوان بتحقيق الحساني حسن عبدالله، ونشر عالم المعرفة، بيروت. كما طبع بعنوان الوافي في العروض والقوافي بتحقيق عمر يحيى وفخرالدين قباوة، ونشر دار الفكر، ١٣٩٥هـ. والاسم الأول أرجح، انظر: مقدمة الحساني ص٩.
(٦) انظر مثلاً: وفيات الأعيان: ٦/ ١٩١ ـ ١٩٦.
(٧) طبع بتحقيق الدكتور محسن غيّاض عجيل، ونشر مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

وهو كتاب مختصر جعله قسمين: أحدهما لنقد النثر، والثاني لنقد الشعر، وليس فيه ما يقدح بالمعتقد، ولم أقف على ما يفصح عن معتقده.

***

جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ): له تفسير الكشاف[١]، والزمخشري من أئمة المعتزلة، وصفه الذهبي بأنه كبير المعتزلة[٢].

ويعد الزمخشري أكثر المعتزلة خدمة لمعتقده من خلال البحث البلاغي، فالكشاف يُعدّ عند جمهور البلاغيين، مصدراً مهما، ومرجعاً لا يستغنى عنه في بلاغة القرآن، وقد استطاع بدهاء أن يخضع تحليلاته البلاغية في تفسيره، لتلائم المعتقد الاعتزالي، ولم يجاوز البلقيني الحقيقة حين قال: «استخرجتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش»[٣]، ولحظ ابن خلدون هذه الظاهرة في الكشاف، فقال: «...إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة»[٤]، وقال مبيناً منزلة الكشاف البلاغية وفضله بين كتب التفسير: «...فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من

---

(١) طبع طبقات عديدة منها ما نشرته دار المعرفة في بيروت.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٥١.
(٣) الإتقان للسيوطي: ٢/ ١٢٣٦.
(٤) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٠.

القرآن بوجوه البلاغة»[١]، ولقد تنبّه بعض الأفاضل من المتأخرين[٢] إلى هذه الظاهرة عند الزمخشري، وحرصوا على إبرازها كما فعل أسلافهم العلماء، وأكتفي بعرض ما قاله بعضهم: يقول الدكتور مهدي السامرائي بعد أن نقل وقفة الزمخشري عند الإسناد في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾[٣]: «إن الزمخشري يرمق النص من خلال مشكلات كلامية لاتمت بسبب إلى الروح الفني الذي نتوخاه، والزمخشري يوجه معنى الآية توجيهاً يتفق مع معتقده الاعتزالي، ويذب عن عقيدته بطريقة كلامية جدلية»[٤].

ويقول الدكتور مصطفى الجويني واصفاً شخصية الزمخشري الاعتزالية: «أما الناحية الأخرى من شخصيته كمعتزلي[٥]، فهي ناحية الاعتزال الصرف، وفيها يبدو الزمخشري ملتزماً بمبادىء الاعتزال، ينظر الزمخشري إلى القرآن نظرة عامة، فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابه إلى المحكم؛ ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي»[٦]، ويختم الدكتور مصطفى بحثه عن الزمخشري

---

(١) المصدر السابق: ٥٥٣.
(٢) من أمثال: الدكتور محمد أبوموسى، والدكتور مصطفى الجويني، والدكتور مهدي السامرائي، والدكتور درويش الجندي، والدكتور شوقي ضيف.
(٣) سورة البقرة: ٧.
(٤) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ١٦٣.
(٥) كذا في النص.
(٦) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه: ١٠٦.

بقوله: «وبعد: فالزمخشري إن هو يفسر، وإن هو يبحث الإعجاز القرآني، فقد كانت شخصيته الاعتزالية واضحة بينة تطالعنا في التفسير، كما تطالعنا في البحث الجمالي لآي القرآن»[(١)].

ويمكن أن نقف على نموذج مما خدم فيه الزمخشري معتقده، وفيه خفاء على كثير ممن يقرأ الكشاف، ولعل هذا الموضع من المواضع التي تستخرج بالمناقيش، ففي حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[(٢)] علق على ذلك بأن جعل الرضى أكبر النعيم[(٣)]، وهو يريد بذلك أن ينفي مسألة الرؤية التي هي أكبر النعيم.

وقد انطلق من تنكير كلمة رضوان، وأنه للتقليل[(٤)]، أي رضوان قليل أكبر من كل نعيم، والمنصف يقول إن أكبر هذه مقيدة بما ذكر قبلها، أي أكبر من الجنات والمساكن الطيبة.

وخدمة الزمخشري لمعتقده نماذجها كثيرة سيأتي شيء منها عند الحديث عن السبكي الذي تتبع بعض سقطات الزمخشري ونبه عليها كما سيأتي.

* * *

---

(١) المصدر السابق: ٣٠٠.
(٢) سورة التوبة: ٧٢.
(٣) انظر: الكشاف: ٢/٢٠٢.
(٤) انظر مثلاً: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤٧.

أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ): له كتاب البديع في نقد الشعر(١).

لم أقف على تحديد معتقده(٢)، ولم أجد في كتابه ما يمكن أن يكون مأخذاً عقدياً، غير أنه كثير الاستشهاد بكلام علي رضي الله عنه(٣)!!، كما أنه متساهل في ذكر أبيات المبالغة(٤)، والخمريات(٥)، والمجون(٦).

وفي باب الازدواج(٧) لم يمثل إلا بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٨)، فلم يذكر آية المكر، أو المخادعة، أو الاستهزاء كما فعل غيره.

وملحظ أخير لعله من سقطات أسامة بن منقذ، أنه حين تحدث عن الترصيع عرّفه على أنه فن شعري(٩)، ثم يمثل له من القرآن الكريم.

* * *

الإمام فخر الدين بن عمر الرازي (٦٠٦هـ): له تفسيره الكبير المشهور، بث فيه آراءه البلاغية التي صارت مادة ثرية،

---

(١) طبع أكثر من طبعة منها طبعة بعنوان البديع في البديع في نقد الشعر، تحقيق عبد آ. علي مهنا، ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
(٢) انظر مثلاً: وفيات الأعيان: ١/ ١٩٥ ـ ١٩٩.
(٣) البديع في البديع في نقد الشعر: ٧٢، ٧٥.
(٤) المصدر السابق: ٧٧، ١٠٤.
(٥) المصدر السابق: ٨١، ٨٢، ٩٣، ١٠٧، ١١٢، ١٦٣.
(٦) المصدر السابق: ٨٠.
(٧) المصدر السابق: ١٦٥.
(٨) سورة البقرة: ١٩٤.
(٩) المصدر السابق: ١٧١.

تداولها كثير ممن جاء بعده[1].

وله كتابه البلاغي نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز[2]، الذي لخص فيه كتابي عبدالقاهر الجرجاني الأسرار والدلائل، وعمل على إخضاع علم البلاغة للتبويب والتقسيم مستفيداً من عقليته المنطقية، فأصبح هذا الكتاب كالقنطرة التي صارت جسراً عبرت من فوقه البلاغة العربية من حدائق الأدب ورياضة إلى بحار المنطق وظلماته وما فيه من أصداف اللؤلؤ الجميلة، وما يحويه من صخور صمّاء، أصبحت سمه لمدرسة المتكلمين البلاغية التي يتجاذبها وضوح التقسيم والتبويب، وغموض الإغراق في المنطق.

ولقد وصف الذهبي الإمامُ الذهبي الإمام فخر الدين الرازي بقوله: «بدت من تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر»[3]، ثم نقل الذهبي اعتراف الرازيّ في آخر حياته الذي قال فيه: «... تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4]،

---

(١) انظر: فخرالدين الرازي بلاغياً، تأليف ماهر مهدي هلال، دار الحرية، ١٣٩٧هـ. وقد طبع تفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، آخرها طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٠.

(٤) سورة طه: ٥.

و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[١]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]، ومن جرّب مثل تجريبي عرف مثل معرفتي»[٣]، ولقد كان يرحمه الله أشعرياً جلداً مجادلاً للمعتزلة وغيرهم، حكى ذلك عنه السبكي في طبقات الشافعية[٤]، وإن كان السبكي متعصبا للرازي، فإنه لم يذكر النص الذي أوردته آنفاً من وصيته، بل اكتفى بنقل جزء منها، ولا أدري أيكون السبب رجوع الرازي عن أشعريته؟!!.

ولقد كان السبكي رحمه الله يصف خصوم الرازي بأقذع أنواع السباب، حتى شيخه الذهبي لم يسلم من ذلك، وإن كان يحرص على التأدب معه، أقول: غفر الله للجميع، وما أحوجنا لطرح رداء التعصب.

ومما يمكن تسجيله على الرازي من مخالفات عقدية في كتابه البلاغي: نهاية الإيجاز ملحوظات منها: قوله في باب الاستعارة: «وأكثر الآيات التي يتعلق بها أهل التشبيه من هذا الجنس، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[٥]، وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٦]، وفي هذا الأصل خلاص من تلك

---

(١) سورة فاطر: ١٠.
(٢) سورة الشورى: ١١.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠١.
(٤) طبقات الشافعية للسبكي: ٨/٨٢ ـ ٨٥، وانظر: البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف: ٢٧٤.
(٥) سورة طه: ٣٩.
(٦) سورة هود: ٣٧.

الإشكالات»[١]، وهو بهذا يجعل الاستعارة متكأً لتأويل مثل هذه الصفات[٢].

* * *

أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ): له كتاب مفتاح العلوم[٣]، الذي اشتهر منه الجزء الخاص بالبلاغة، وأصبح قطب الرحى للبلاغة عند كثير من المتأخرين، وبخاصة أصحاب الاتجاه العقلي.

وصفه ياقوت الحموي بأنه: «متكلم فقيه متفنن في علوم شتى»[٤]، واعتزاله ظاهر بيّن من آرائه في المفتاح، ولنقف على نماذج من ذلك:

ـ ففي باب الإيجاز جعل السكاكي من أمثلة الاختصار قوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾، وعقب على ذلك بقوله: «أصله: لن يتوبوا، فلن يكون قبول توبة، فأوثر الإيجاز، ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، وهو قبول التوبة الواجب في حكمته تعالى وتقدس»[٥]، وينبه الدكتور عبده زايد إلى ما وقع

---

(١) نهاية الإيجاز: ٢٥٧.
(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١٢٢٥، ١٢٢٧.
(٣) طبع مرات عديدة منها طبعتان محققتان: إحداهما لأكرم عثمان، والثانية لنعيم زرزور، وهي التي سأحيل عليها.
(٤) معجم الأدباء: ٢٠/٥٨ ـ ٥٩.
(٥) مفتاح العلوم: ٢٨٠.

فيه السكاكي، فيقول: «في هذه الآية النفي منصب على قبول التوبة، وهذا يعني أن تكون هناك توبة ثابتة، ولكن السكاكي يرى أنه لو كانت هناك توبة لقبلها، فالنفي عنده يشمل القبول والتوبة جميعاً لما بينهما من التلازم»(١)، ثم يقول: «فإن التلازم بين التوبة وقبولها غير مفهوم إلا على مذهب المعتزلة»(٢)، ويؤكد الدكتور عبده زايد ما ذهب إليه بنقل ما ذكره التفتازاني في شرحه للمفتاح حين توقف عند عبارة السكاكي الآنفة الذكر، حيث يقول التفتازاني: «إن اللزوم في الأول مقرر متفق عليه بين الكل، إذ لا نزاع في أن كل ما يثبت يعلمه الله ألبتة... بخلاف لزوم التوبة لله، فإن ذلك إنما هو عند المعتزلة، وعندنا لا وجوب ولا لزوم بالنسبة إلى الله تعالى»(٣)، وبهذا يتضح أن السكاكي أخضع تعليقه على الآية الكريمة لمعتقده الاعتزالي الذي ربط فيه التوبة وقبولها.

- في حديث السكاكي عن حذف المسند إليه جعل من أمثلة الحذف لتعين المسند إليه قوله: خالقٌ لما يشاء(٤) أي: الله خالق لما يشاء، وقد تعقبه السكاكي، فقال: «وقول السكاكي: (لما يشاء) لا حاجة لذكره، وأنه إنما ذكره اعتزالاً، لأنهم يرون أن العبد خالق، ولكن لا لكل ما يشاء، وفي ما قيل نظر؛ لأن هذا

---

(١) عكس الظاهر: ٢٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: عكس الظاهر للدكتور عبده زايد: ٢٢ - ٢٣، فقد نقل النص عن شرح القسم الثالث من المفتاح للتفتازاني، وهو مخطوط بدار الكتب: ١٠٨ب، وقد اعتمدت على كتاب عكس الظاهر.
(٤) مفتاح العلوم: ١٧٦.

المثال هو المطابق لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٢]، فلعل السكاكي لم يقصد بقوله لما يشاء الاحتراز، بل قصد التأسي بالآية الكريمة»[٣]، ومع هذا التسويغ اللطيف في البحث عن مخرج للسكاكي، إلا أن ما ذكره السبكي أولاً احتمال وارد.

* * *

ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ): له مجموعة من الكتب التي درس فيها فنون البلاغة والنقد، أوسعها وأشهرها (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)[٤]، وكانت شخصيته متميزة في هذا الكتاب من خلال مناقشته لمن قبله ونقدهم فيما دوّنوه في فنون البلاغة، وله آراء جريئة في بعض العلماء تشوبها الحدة، التي كان مبعثها اعتزازه بنفسه كثيراً، مما أثار سخط بعض من جاء بعده فألفوا الردود عليه، كما فعل ابن أبي الحديد الذي ألف (الفلك الدائر على المثل السائر)[٥]، وكما صنع خليل بن أيبك الصفدي حين صنف (نصرة الثائر على المثل السائر)[٦].

---

(١) سورة النور: ٤٥.
(٢) سورة القصص: ٦٨.
(٣) عروس الأفراح (شروح التلخيص: ١/ ٢٧٩).
(٤) طبع بتحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، ونشرته دار الخانجي بالقاهرة والرفاعي بالرياض.
(٥) طبع بتحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه وطبع مع المثل السائر بجزء مستقل.
(٦) طبع بتحقيق محمد علي سلطاني.

وقد قوبل هذا الهجوم على كتاب ابن الأثير بدفاع عنه من قبل بعض المعجبين بالكتاب ومنهم: محمد بن الحسين الركني السنجاري في كتابه: (نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر)(١)، وعبدالعزيز بن عيسى في مصنفه: (قطع الدابر عن الفلك الدائر)(٢).

وهذا يعني أن كتاب المثل السائر أحدث دوياً علمياً، فمن معارض له ألف في نقده والرد عليه، ومن مؤيد لما فيه صنف في تأييده والدفاع عنه.

ولابن الأثير كتب أخرى ذات صلة وثيقة بالبحث البلاغي منها:

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور(٣).

- وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب(٤)، وهذا الكتاب في نفسي شيء من نسبته لابن الأثير، مع أن المحققين الأفاضل الذين نشروا الطبعتين(٥) لهذا الكتاب لم يناقشوا أمر اختلاف النفس والطريقة والأسلوب الذي كتب به هذا الكتاب عن

---

(١) انظر: كشف الظنون: ٢/١٥٨٦.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) طبع بتحقيق د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد.
(٤) صدر في طبعتين إحداهما بتحقيق د. نوري القيس، ود. حاتم الضامن، وهلال ناجي، نشر جامعة الموصل، والثانية بتحقيق الدكتور النبوي عبدالواحد شعلان، ونشر الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٥هـ.
(٥) المصدر السابق.

طريقة المثل السائر، فكتاب كفاية الطالب هو أشبه ما يكون بنقل ساذج مما ورد في كتب السابقين وبخاصة كتاب العمدة لابن رشيق، ليست فيه روح ابن الأثير ذات الشعور بالتفوق على الآخرين، والاعتداد بالرأي بعبارات مثيرة، وبمناقشات عميقة، ولعل الفرصة تسنح بدراسة خاصة عن هذه القضية.

ـ البرهان في علم البيان، كتاب لا يزال مخطوطاً، غير أني أراه نسخة أخرى من كتاب كفاية الطالب والله أعلم.

ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان(١).

ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم(٢).

ـ المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء(٣).

ـ المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء(٤).

هذه الكتب المنسوبة لابن الأثير الأديب، مما يمكن تصنيفه في حيز البحث البلاغي، أو كان ذا صلة وثيقة به.

ولم أقف على تحديد لانتماء ضياء الدين بن الأثير العقدي، وما يمكن الإشارة إليه قضيتان:

---

(١) ويسمى المآخذ الكندية من المعاني الطائية، طبع بتحقيق حفني محمد شرف، ونشر مكتبة الإنجلو المصرية.

(٢) طبع في بيروت عام ١٢٩٨هـ، وصدر بتحقيق الدكتور جميل سعد في بغداد، د.ت.

(٣) طبع بتحقيق هلال ناجي، الموصل، ١٤٠٣هـ، وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبدالواحد حسن الشيخ، ونشر شباب الجامعة، ١٤١٠هـ.

(٤) انظر: مقدمة المحققين لكتابة الطالب، الطبعة العراقية، ص٢٠.

الأولى: موقفه من الزمخشري، فقد ناقشه في فائدة الالتفات مناقشة علمية جادة كشفت عن طول باع ابن الأثير ودقة فهمه[١]، وتفوقه على الزمخشري في هذه المسألة، ومع ذلك كان في غاية الأدب معه كما يظهر ذلك في ترحمه على الزمخشري، وثنائه عليه.

كما ناقش الزمخشريَّ في قضية التقديم للاختصاص، وردّ عليه بأسلوب[٢] هادىء.

ولم يظهر في المناقشة ما يفصح عن موقف عقدي، فالمناقشة دافعها ومحصلتها أسلوبية بحتة.

القضية الثانية: ما أورده ضياء الدين بن الأثير في باب المجاز حيث جعل منه التوسع في الكلام، وأورد من أمثلته قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾، ثم عقب على ذلك بقوله: «فنسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع؛ لأنها جماد، والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد، ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول إليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٣] وعليه ورد قول النبي ﷺ، فإنه نظر إلى أُحُد يوماً فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه)، فإضافة المحبة إلى الجبل

---

(١) المثل السائر: ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٣) سورة الدخان: ٢٩.

من باب التوسع، إذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جماد»[١]، ولا أدري كيف فات على ضياء الدين بن الأثير، وهو الأديب الأريب العارف بأساليب الكلام، أن كتاب الله تضمن آيات عديدة فيها يخبر الله جل وعلا عن نطق الجلود والأيدي، ومنها: قوله تعالى في سورة يس: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وقوله عز وجل في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ولا أظن بعد هذا التصريح بأن الله أنطق ما يظنه الإنسان جماداً أن يشك أحد في نطق السماء والأرض إذا أمرهما الله بذلك، ولعل هذا الموقف من عثرات ابن الأثير غفر الله لنا وله.

وقد سبق للإمام ابن قتيبة رحمه الله أن نبّه على خطأ من يقول بمثل الذي ورد عند ابن الأثير، فقال: «وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب؟! والله تبارك وتعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح»[٢].

وعرض عدداً من الآيات في تسخير الجبال والطير، وتميّز جهنم وتغيظها وزفيرها، وقولها: قط قط إلى غير ذلك، ثم إن

(١) المثل السائر: ٢/ ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ١١٣، وانظر: ١٠٦.

هذه الأمور الغيبية تجرى على ظاهرها، ويؤمن بحقائقها، وما دلت عليه، وليس للإنسان أن يستبعد ذلك أو يستحيله، فالله على كل شيء قدير، وأمور الآخرة ليست كأمور الدنيا.

بيد أن تفسير القرآن ينبغي أن ينظر فيه إلى ظاهر اللفظ أولاً، ثم إلى ما يبينه في المواضع الأخرى من القرآن، أو ما ورد من صحيح السنة المطهرة، ثم أقوال السلف الصالح الذين فهموه كما أنزل، ولا يصح أن نبادر إلى القياس على شعر العرب قبل أن نمر بالمراحل التي ذكرت آنفاً، فإذا ما وجد في كتاب الله، أو فيما صح عن رسوله ﷺ، أو أقوال السلف، فإننا نقدمه على غيره، لأنه هو الذي يعين على الفهم الصحيح، ويعد ذلك ـ في عرف البلاغيين ـ من القرائن اللفظية، وهي ـ بلا شك ـ مقدمة، وإذا لم يوجد حينئذ نلجأ إلى ما يبين ذلك من كلام العرب، لأن القرآن نزل بلسانهم، والله أعلم.

* * *

ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ): له كتابان في البلاغة هما: بديع القرآن، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن[١]، وله كتب أخرى ذات صلة وثيقة بالبلاغة والنقد وإعجاز القرآن منها:

ـ الخواطر السوانح في أسرار الفواتح[٢].

(١) حققها الدكتور حفني محمد شرف.
(٢) منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية برقم: ٩١٦٩. انظر: الفهرس الشامل: =

ـ الكاملة في تأويل تلك عشرة كاملة[(١)].

ـ الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه[(٢)].

ـ الشافية في علم القافية[(٣)].

وذكر أنه تحدث في الكتابين الأخيرين عن نفي أن يكون في القرآن شعرٌ[(٤)]، ولم أوفق في العثور على نص في ترجمته يحدد انتماءه العقدي، غير أني أسجل الوقفات التالية:

الأولى: ذكر في باب الازدواج[(٥)] الذي أصبح فيما بعد يعرف بالمشاكلة[(٦)] أن من أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾، وصرح في هذا بالنقل عن الرماني، ولعل مما يسترعي الانتباه أن منهج ابن أبي الإصبع في كتابيه البديع والتحرير الاعتماد على ما ورد عند السابقين من أنواع البديع حسب التدرج التأريخي، إذ بدأ بأنواع ابن المعتز، فقدامة، فأبي هلال، ...وهكذا، ومعنى هذا أن يعتمد على الرماني في باب الازدواج، ويذكر أمثلته، ولكننا نراه يقتصر على المثال الآنف

= ١/٢٥٣.

(١) انظر: تحرير التحبير: ٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: بديع القرآن: ١٦٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) تحرير التحبير: ٤٥٣.

(٦) انظر: مثلاً الإيضاح للقزويني: ٦/٢٦.

الذكر فحسب، ولو رجعنا للرماني لوجدناه يذكر[١] في أمثلة الازدواج آية الاستهزاء[٢]، وآية المكر[٣]، وآية المخادعة[٤]، ولعل السبب يكمن في أن ابن الإصبع يختلف عن الرماني في موقفه من هذه الصفات، ولهذا آثر الاكتفاء بآية الاعتداء التي لا حرج من جعلها من باب الازدواج، إذ إنها لا تتضمن الحديث عن صفة من صفات الله عز وجل، ومع ذلك فقد اقتدى ابن أبي الإصبع بالرماني في قضية تتصل بإحدى الصفات، كما سنعرف في الوقفة الثانية.

الثانية: وفي باب الإفراط بالصفة، وهو باب المبالغة، قال ابن أبي الإصبع: «والضرب الثالث من المبالغة: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، والإخبار عنه مجاز، كقول من رأى موكباً عظيماً أو جيشاً خضماً: جاء الملك نفسه، وهو يعلم أن ما جاء جيشه، وقد جاء من ذلك في كتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[٥]، فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه»[٦]، وهذا النص اعتمد فيه ابن أبي الإصبع على الرماني[٧] دون أن يصرح باسم الرماني، وذلك وفق

---

(١) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل: ٩٩ ـ ١٠٠).
(٢) سورة البقرة: ١٥.
(٣) سورة آل عمران: ٥٤.
(٤) سورة النساء: ١٤٢.
(٥) سورة الفجر: ٢٢.
(٦) تحرير التحبير: ١٥١، وتكرر ذلك عنده في بديع القرآن: ٥٦.
(٧) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل: ١٠٤ ـ ١٠٥).

منهجه في الإفادة من السابقين، ولتطابق النصين، وهذا فيه تأويل لصفة المجيء.

الوقفة الثالثة: أنه جعل من باب المناسبة قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾، وعقّب على ذلك بقوله: «فإنه ـ سبحانه ـ لما قدّم نفي إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وهو اللطيف﴾ خطاباً للسامع بما يفهم، إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار...»[1]، وهذا يدلُّ على أنه ينفي رؤية الله عز وجل، وجعل ذلك سبباً لكمال المدح، إذ يقول في كتابه الآخر تعليقاً على ذلك: «... التي نفى عنها إدراكه تكميلاً للتمدح»[2].

والوقفتان الثانية والثالثة تعطي كل واحدة منهما انطباعاً بأن موقف ابن أبي الإصبع من بعض الصفات يخالف موقف أهل السنة، فغفر الله لنا وله.

* * *

عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (٦٥١هـ): له كتابان: التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن[3]، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن[4]، وله كتاب ثالث خاص ببلاغة

---

(١) تحرير التحبير: ٣٦٣.
(٢) بديع القرآن: ١٤٦.
(٣) طبع الكتاب بتحقيق د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي.
(٤) المصدر السابق.

القرآن هو: (نهاية التأميل في كشف أسرار التنزيل) أشار إليه في كتابه البرهان[١].

قال عنه ابن العماد: «كان خيّراً متميزاً ذكياً سريا»[٢].

ومما وقفت عليه في كتابه ردّه على الزمخشري في معنى (لن) عنده، وأكّد ابن الزملكاني أن الزمخشري إنما فعل ذلك بدافع من اعتزاله.

يقول ابن الزملكاني: «لعلك تقول عن نص الزمخشري في مفصله على أن (لن) لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل، وتغفل عن أنه بنى ذلك على مذهبه في الاعتزال»[٣]، ثم شرع في إثبات أن (لن) لا تدل على النفي المطلق (على التأبيد)، وأن (لا) هي التي تدل على ذلك بخلاف لن.

وأعقب ذلك بقوله: «...وإذا عرفت ذلك وضح لك سرّ الإتيان بـ (لن) في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[٤]، حيث لم يرد به النفي مطلقاً، بل في الدنيا، وبـ (لا) في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٥] حيث أريد نفي إدراك الإبصار على الإطلاق، وهذا يؤذنك أن الرؤية مغايرة للإدراك خلافاً لبعضهم، ولذلك قال عليه السلام: (**إنكم لترون ربكم يوم القيامة**)، ولم يأت بالإدراك،

---

(١) انظر: البرهان الكاشف: ٤٩.
(٢) شذرات الذهب: ٥/ ٢٥٤.
(٣) التبيان المطلع على إعجاز القرآن: ٨٤ ـ ٨٥، وانظر: البرهان الكاشف: ١٩٤.
(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.
(٥) سورة الأنعام: ١٠٣.

ومما يفرق لك بين الحرفين أن (لن) لنفي المظنون حصوله، و(لا) لنفي المشكوك فيه، وهذا يعلمك أن (لن) آكد في النفي على ما قاله الزمخشري، وإن كان زمانها أقصر»[١]، ولعل من المناسب هنا أن أذكر رأي الإمام ابن القيم يرحمه الله في الاستدلال على طول النفي وقصره في لا ولن، وأنه استدل بالجانب الصوتي على طول النفي بلا؛ لامتداد الصوت في نطقها، وبقصره في لن لانقطاع الصوت مباشرة[٢]، وهو موافق لما رآه ابن الزملكاني.

ومن هنا يتبين أن ابن الزملكاني قد اعتمد في رده على الزمخشري على تتبع معاني لن ولا وعلاقتهما بطول النفي وقصره، مما أسهم في الرد على من ينفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة استناداً على المعنى المزعوم لـ (لن)، وأنها للنفي المؤبد، كما زعم الزمخشري.

وقد صرّح ابن الزملكاني في بداية كتابه البرهان أن أعلى مراتب الجنة النظر[٣]، وساق عدداً من الآيات للاستدلال بها على ثبوت الرؤية.

ووقع ابن الزملكاني في تأويل بعض الصفات في موضعين من كتاب البرهان:

---

(١) التبيان لابن الزملكاني: ٨٥ ـ ٨٦، وانظر: البرهان له: ١٩٤.
(٢) بدائع الفوائد لابن القيم: ١/ ٨٧.
(٣) البرهان الكاشف: ٦٨.

أحدهما: في حديثه عن التخيل[١] في باب المجاز الإفرادي، أَوَّل صفتي العين واليمين.

وثانيهما: في ذكره المقابلة[٢] جعل منه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٣]، وفي هذا تأويل للاستهزاء.

وقد قال عن التخيل: «ولا تجد في علم البيان أدق ولا أعون في تعاطي تأويل المتشابهات منه»[٤]، وهذا ما فعله كثير ممن يصطدم ظاهر الآيات بما يعتقده.

* * *

ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ): له كتاب: الفلك الدائر على المثل السائر، رد فيه على ابن الأثير، وتتبع أخطاءه في مقدمته للمثل السائر، فهو وإن أصاب في بعض ما ذكر، فقد تحامل على ابن الأثير في عدد من نقداته له[٥].

والرجل معتزلي شيعي، يكثر من الرد على الأشاعرة[٦]، وكان وثيق الصلة بالوزير ابن العلقمي، عُني بشرح نهج البلاغة، ومن شعره[٧] ما يكشف عن معتقده:

---

(١) البرهان الكاشف: ١١١.
(٢) المصدر السابق: ١٠٣.
(٣) سورة البقرة: ١٥.
(٤) المصدر السابق: ١١١.
(٥) الفلك الدائر: (مقدمة المحققين: ٩ ـ ١٦).
(٦) وبخاصة الفخر الرازي فقد رد عليه في كتابين بذلك.
(٧) انظر: الفلك الدائر(مقدمة المحققين: ٢٣ ـ ٢٤، ٢٦.

أيا رب العباد رفعت صنعي ... وطلتُ بمنكبي وبللت ريقي
وزيغ الأشعري كشفت عني ... فلم أسلك بنيات الطريق
أحب الاعتزال وناصريه ... ذوي الألباب والنظر الدقيق
فأهل العدل والتوحيد أهلي ... نعم، ففريقهم أبداً فريقي

وله قصائد أخرى في الاعتزال، وقد ردّ عليه الصفدي بقصيدة يدافع فيها عن الفخر الرازي، ويبين ضلال ابن أبي الحديد في اعتزاله[(١)].

ومن الإنصاف أن نذكر أن ابن الحديد كان موفقاً في مناقشة ابن الأثير الذي أجاز أن يكون لفظ الجلود في قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ دالاً على الحقيقة والمجاز، ولكنه أي ابن الأثير رجّح الدلالة المجازية[(٢)]، وأن معنى الجلود: الفروج.

ولقد رجّح ابن أبي الحديد[(٣)] الدلالة الحقيقية مستدلاً على ذلك بمعنى جلود في المواضع الأخرى في القرآن الكريم، وأن استخدامها للكناية عن الفروج ليس مراداً، وذلك لمجيء كلمة فروج صريحة في غير موضع من القرآن.

* * *

(١) المصدر السابق: ٢٥.
(٢) المثل السائر: ١/١٠٦.
(٣) الفلك الدائر: ٧٠ ـ ٧٣.

المظفر بن الفضل العلوي (٦٥٦هـ): له كتاب: نَضْرَة الإغريض في نُصْرة القريض[١]، وهو كتاب شامل لكثير من موضوعات البلاغة والنقد، وله كتاب آخر هو (الرسالة العلوية)[٢] قصر الحديث فيه على الفصاحة محتذياً[٣] بابن سنان الخفاجي.

ويظهر أن المظفر العلوي متشيع، يبدو ذلك من ثنائه على ابن العلقمي، وأنه ألف كتاب نَضْرة الإغريض بطلب منه[٤].

كما يلحظ القارىء تشيعه من خلال حديثه عن معاوية رضي الله عنه، وكلامه عن علي رضي الله عنه، ومقتل عثمان رضي الله عنه[٥].

وفي الكتاب نفسه رأيته يترضى عن الصحابة[٦] جميعاً، وعن عمر رضي الله عنه بصفة خاصة[٧].

ولعل كون الكتاب خاصاً بالشعر لا يعين على رصد المخالفات العقدية، كما لو كان حول بلاغة القرآن.

---

(١) طبع بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن، ونشر دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ، ط٢.
(٢) أشار إليه المؤلف ثلاث مرات في كتابه نضرة الإغريض: ٢١، ٢٦٨، ٤٤١، وانظر: مقدمة المحقق: ص د.
(٣) انظر: مقدمة المحقق: ص د، وانظر: ٢١ ـ ٢٢.
(٤) نضرة الإغريض: ١ ـ ٢.
(٥) نضرة الإغريض: ٣٢٨ ـ ٣٢٩.
(٦) المصدر السابق: ٣٥٢.
(٧) المصدر السابق: ٣٥٦.

وللمؤلف حديث حسنٌ في موقف الإسلام من الشعر[١].

كما أنه حين استطرد في الحديث عن حذف المضاف، لم يستشهد[٢] إلا بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾، ولم يذكر مثلاً قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

* * *

العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ): له كتاب: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز[٣]، والعز من علماء الأشاعرة[٤].

يقول الدكتور عبد الرحمن المحمود: «والأدلة على أشعرية العز واضحة، وقد سجّل خلاصة لعقيدته في كتابه المشهور: قواعد الأحكام.

أما تأويله لبعض الصفات فواضح في كتابه الإشارة إلى الإيجاز، فقد أوّل صفة المجيء، والقبضة، واليدين، والنزول، والضحك، والفرح، والعجب، والاستواء، والمحبة، والغضب، والسخط وغيرها»[٥].

---

(١) المصدر السابق: ٣٥٢ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق: ٤١٩.
(٣) طبع بعناية رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية.
(٤) انظر: طبقات الشافعية: ٨/ ٢٠٩ ـ ٢٥٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/ ٦٨٢.
(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/ ٦٨٢.

وأكتفى بعرض نموذج يؤكد ما ذكره الدكتور المحمود، إذ يقول العز: «وأما مجيئه سبحانه وتعالى فمجاز عن حضوره وظهوره للبصائر بعد أن كان غائباً عنها، ومثاله قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[(١)]، ويجوز أن يكون هذا من مجاز الحذف، تقديره: وجاء أمر ربك، أو عذاب ربك، أو بأس ربك»[(٢)]، فالمهم هو تأويل هذه الصفة عند العز سواءٌ أكان ذلك عن طريق المجاز بالاستعارة، أم المجاز بالحذف، والدافع من وراء هذا الإصرار على التأويل أمر عقدي لا يخفى، غفر الله للجميع.

* * *

كمال الدين ميثم البحراني (٦٧٩هـ): له كتاب تجريد البلاغة[(٣)]، وقد نشره الدكتور عبدالقادر حسين بعنوان: أصول البلاغة، والغريب أن المحقق الفاضل صور الورقة الأولى من الكتاب، وفيها العنوان: (تجريد البلاغة)، ولم يذكر سبباً وجيهاً لتغيير العنوان!!.

وترجمته[(٤)]، واسمه، ومؤلفاته تفصح عن شيعيته، فقد ورد في ترجمته إشارات إلى علاقته بالأئمة!! وتلقبه بالبحراني له دلالة

---

(١) سورة الفجر: ٢٢.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) حققه الدكتور عبدالقادر حسين، ونشرته دار الشروق، ١٤٠١هـ، بعنوان أصول البلاغة.

(٤) انظر: ترجمته في روضات الجنات: ٤/ ٥٢، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٧/ ١٧٩.

شيعيّة، وكذلك عنايته بشرح نهج البلاغة، إذ له ثلاثة شروح عليه، وله كتاب استقصاء النظر في إمامة الأئمة الاثني عشر[١].

وكتابه في البلاغة كتاب مختصر جداً، ومع ذلك فقد جاء فيه تأويل لليد وجعلها بمعنى القوة في باب المجاز[٢]، وأوّل القبضة واليمين في باب الإيهام[٣].

ونشر له أيضاً الدكتور عبدالقادر حسين (مقدمة شرح نهج البلاغة)[٤]، ولم يذكر المحقق لأي الشروح الثلاثة هذه المقدمة، وقد تضمنت عدداً من القضايا البلاغية، ورد فيها أيضاً تأويله للقبضة واليمين[٥].

* * *

أبوالحسن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ): له كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء[٦]، وما طبع من هذا الكتاب ناقص إذ إن قسمه الأول مفقود كما ذكر المحقق[٧].

ولحازم كتابان آخران، ما يزالان في عداد الكتب المفقودة، وهما:

---

(١) انظر: مقدمة المحقق: ١٣.
(٢) أصول البلاغة: ٥٨.
(٣) المصدر السابق: ٨٧.
(٤) تحقيق د. عبدالقادر حسين، ونشر دار الشروق، ط١، ١٤٠٧هـ.
(٥) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة: ١٣٨.
(٦) طبع بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ونشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.
(٧) انظر: مقدمة المحقق: ٩٤، ٩٥.

(التجنيس)، وكتاب في القوافي[١]، وقد شرح ابن رُشَيْد الكتابين، واسم شرحه للكتاب الثاني: (وصل القوادم بالخوافي في شرح كتاب القوافي)[٢].

ولم أجد في ترجمته[٣] مايفصح عن معتقده، إلا أن سيطرة الاتجاه[٤] المنطقي والفلسفة اليونانية، والتأثر بأرسطو يجعل منهجه أقرب إلى منهج العقليين من المعتزلة.

وأكثر ما عني حازم بقضية الشعر، فلم يرد في المطبوع من كتابه[٥] سوى آيتين.

* * *

ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ): له كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٦]، وقد أفاد من الزمخشري[٧] في كشافه التوجه البلاغي في التفسير، ولكنه تتبعه في كثير من اعتزالياته وردّ عليها، خلافاً لما يراه بعض الباحثين، من أنه تابع الزمخشري[٨].

---

(١) انظر: بغية الوعاة: ١/ ٤٩١، ومقدمة محقق منهاج البلغاء: ٨٨، ٨٩.
(٢) انظر: مقدمة محقق منها منهاج البلغاء: ٨٨، ٨٩.
(٣) انظر مثلاً: بغية الوعاة: ١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢.
(٤) انظر: منهاج البلغاء مقدمة المحقق: ٩٨.
(٥) منهاج البلغاء: ٤٤٥.
(٦) طبع مرات عديدة منها محقق الشيخ عبدالقادر عرفات حسونة، ونشر دار الفكر: ١٤١٦هـ، وبحاشية الكازروني.
(٧) انظر: مقدمة المحقق: ١/ ٦ ـ ٧.
(٨) انظر مثلاً: تفسير البيضاوي: ١/ ٣ ـ ٤، ١٠٣، ١٤٣ ـ ١٥٢.

وبدافع من أشعرية البيضاوي كان ينطلق في كثير مما ردّه على الزمخشري من اعتزالياته، ويذكر الدكتور عبدالرحمن المحمود أن البيضاوي كانت له مواقف محمودة في الصفات، ومنها أنه لما عرض لصفات: الاستواء، واليدين، والوجه، والعين، وذكر خلاف الأشاعرة أنفسهم فيها قال: «والأولى اتباع السلف في الإيمان بها، والرد إلى الله تعالى»[(١)]، والحق أن السلف يفوضون الكيفيات فحسب، لأن نص البيضاوي يلصق بالسلف التفويض العام الشامل للحقائق والكيفيات، فلا بد من التنبه لذلك!!.

وقد كتب الله لتفسيره الذيوع والانتشار، فكثرت عليه الحواشي، ومن أشهر الحواشي المطبوعة: حاشية السيد الشريف، وحاشية الشهاب، وحاشية زاده، وحاشية الكازروني. وهناك حواش أخر ما تزال مخطوطة، من أهمها حاشية الطيبي المسماه (فتوح الغيب).

ومواقف البيضاوي في الرد على الزمخشري كثيرة جداً، ويمكن التمثيل لها بما ذكره عند الحديث عن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾، فقد بين اضطراب المعتزلة في هذا الإسناد وردّ عليهم[(٢)].

* * *

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/ ٦٨٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ١/ ١٤٣ ـ ١٥٢.

بدرالدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي (٦٨٦هـ): له كتابا: المصباح في تلخيص المفتاح[١]، وروض الأذهان في المعاني والبيان[٢].

لم أحظ بالوقوف على نص صريح في بيان معتقده، وهو على الإجمال موافق لما عليه أهل السنة في كتابيه إلا في مواضع يسيرة منها:

أولاً: أنه ذكر في باب الاستعارة قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وجعل ذلك من باب الحذف، دون أن يذكر تقديراً للمحذوف[٣]، وعلى أيٍّ كان التقدير، فالمقصود ـ والله أعلم ـ تقدير فاعلٍ يكون مضافاً، كتقدير (أمر ربك) مثلاً، كما هو الحال عن كثير ممن أوّل صفة المجيء اعتماداً على هذا الحذف المزعوم، ونتيجة ذلك هو تأويل صفة المجيء.

ثانياً: أنه اقتصر[٤] في حديثه عن المزاوجة، التي هي بمعنى المشاكلة عند غيره من البلاغيين المتأخرين على التمثيل لها بقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾، ولم يساير

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور حسني عبدالجليل يوسف، ونشر مكتبة الأداب.

(٢) لدي منه نسخة مخطوطة مخرومة الآخر، وعليها آثار الرطوبة في بعض أوراقها، مصورة عن نسخة مكتبة ليدن، وأظنها النسخة الوحيدة المعروفة عن هذا الكتاب حتى الآن.

(٣) المصباح: ١٤٣.

(٤) المصدر السابق: ١٨٢ ـ ١٨٣.

البلاغيين في ذكر الآيات المتضمنة لصفات: النفس، والمكر، والمخادعة، والاستهزاء، ولعله أراد الابتعاد عن ذلك عمداً ليتجنب الخوض في تأويل هذه الصفات ـ والله أعلم ـ.

* * *

سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي (٧١٦هـ): له من الكتب ذات الصلة بالبحث البلاغي: الإكسير في علم التفسير[١]، والصعقة الغضبية على منكري العربية[٢]، والشعار في علوم الأشعار[٣].

وقد اتهم الطوفي بالتشيع، وناقش هذه المسألة الزميل الدكتور محمد الفاضل في مقدمة تحقيقه لكتاب الصعقة الغضبية، فنفى هذه التهمة عنه[٤]، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها فرية ألصقت به، ففي كتبه، وبخاصة الصعقة الغضبية ما يدل على بطلانها، ومن أدلة ذلك مناقشته للاختلاف بين أهل السنة والرافضة حول قوله ﷺ: **(نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة)**، وبيانه أن السبب في الخلاف هو (ما)، فأهل السنة يرونها موصولة، فيكون المعنى الذي تركناه صدقةٌ، والرافضة يجعلونها

---

(١) حققه الدكتور عبدالقارد حسين، ونشرته مكتبة الآداب بالقاهرة، ١٣٩٧هـ.
(٢) حققه الدكتور محمد بن خالد الفاضل، وتعتزم مكتبة العبيكان نشره، فقد روجعت تجارب الطبع الأخيرة عام ١٤١٧هـ.
(٣) لدي منه نسخة مخطوطة أهداني إياها الزميل الدكتور محمد الفاضل، وأنوي تحقيقها إن شاء الله لما تشتمل إليه من الموضوعات البلاغية الطريفة.
(٤) الصعقة الغضبية ص٩٧ ـ ١٢٦.

نافية، فيصبح المعنى: لم نترك صدقةً. وكان مؤيداً لأهل السنة ومشنعاً على الرافضة فهمهم.

ولم أقف على ما يقدح في معتقد الطوفي في حديثه البلاغي، بل كانت له مواقف تحمد له، ومنها حديثه في الإكسير عن الحذف، وبخاصة حذف المضاف أو المضاف إليه، فإنه لم يذكر فيه ما يقدح في المعتقد، فلم يذكر قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ كما فعل غيره، بل أورد آيات ليست من آيات الصفات.

وله موقف محمود ردّ فيه على من جعل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ من باب المقابلة ـ التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمشاكلة ـ قال فيه: «وفيه نظر لأنه إن أريد أنه لا يرد إلا مقابلاً بَطُل بقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾[1]»[2]، فهو ينكر أن تكون صفة المكر إنما ذكرت مقابلة أو مشاكلة، لأنها وردت في آية الأعراف ولا مقابلة أو مشاكلة فيها.

* * *

أبوالعباس أحمد بن البناء المراكشي (٧٢١هـ): له كتاب: الروض المريع في صناعة البديع[3]، وله كتاب آخر فريد في بابه، جعله خاصاً برسم المصحف الشريف، وبيان سرّ الاختلاف في رسم بعض كلماته، وعنوان الكتاب هو: (عنوان الدليل من

---

(١) سورة الأعراف: ٩٩.
(٢) الإكسير: ٦٥.
(٣) طبع بتحقيق رضوان بنشقرون، ونشر دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

مرسوم خط التنزيل)[١].

ولم أجد من نصّ على بيان معتقده، ولكني أظنه يميل إلى الاعتزال، وذلك لطغيان الاتجاه الفلسفي والمنطقي على منهجه[٢]، وما لحظته من متابعته للزمخشري كما سيرد لاحقاً.

وقد صرّح ابن البناء أن غرضه من تأليف الروض المريع زيادة فهم الكتاب والسنة[٣].

ومما يمكن أن يستدل به على معتقد ابن البناء ما لحظته من متابعته للزمخشري دون أن يُصرح بهذه المتابعة، يقول وهو يتحدث عن دلالة الكلام: «ومن جهة العقل تكون النسبة في تركيب الأخبار إما واجبة، وإما ممتنعة، وإما ممكنة ... والممكن ينقسم إلى ما وقع ... وإلى ما لا يقع، وهذا يوافق الممتع في الإحالة، لكنها إحالة الوقوع، لا الإحالة العقلية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[٤] ... فخروجهم ... إلى الدنيا ممكن عقلاً وهو محال الوقوع»[٥]، وهذا النص مطابق لرأي المعتزلة في مسألة الخلود في النار، والغريب أن المعتزلة الذين يعتدون بالعقل كثيراً يضربون عنه صفحاً إذا اصطدم بمعتقدهم كما لحظناه في كلام ابن البناء آنفاً.

---

(١) طبع بتحقيق هند شلبي، ونشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
(٢) انظر: مقدمة محقق الروض المريع: ٩.
(٣) الروض المريع: ٦٩.
(٤) سورة البقرة: ١٦٧.
(٥) الروض المريع: ٧٧ ـ ٧٨.

ومما يسجل عن ابن البناء أنه جعل قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ من تجنيس المحاذاة، يقول: «وهذا النوع يقصد به المقابلة وتحقيق المساواة في المعادلة، فلذلك استعير للمعنى الثاني اللفظ من المعنى الأول»[١]، وهذا هو مفهوم المشاكلة عند المتأخرين.

وأورد في ختام حديثي عن ابن البناء أنموذجاً من كتابه الآخر حول تفريقه بين رسم ﴿بأييد﴾ بياءين ورسمها بياء واحدة، يقول بعد ذكره لقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾: «كتب بياءين فرقاً بين الأيد الذي هو القوة، وبين أيد جمع يدٍ، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود»[٢]، فإن كان تفريق ابن البناء بين ما كتب بياءين وما يكتب بياء واحدة مقبولاً، لأن ما ورد في سورة الذاريات ﴿بأييد﴾ المراد به القوة، كما قال بذلك عدد من المفسرين[٣]، إلا أن تعليله في قضية الظهور ربما كان منطلقاً من مبدأ منطقي فلسفي غايته تأويل اليد ـ والله أعلم ـ.

* * *

(١) المصدر السابق: ١٦٤.

(٢) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل: ٩١ ـ ٩٢.

(٣) انظر مثلاً: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ٥/١٠٦.

شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (٧٢٥هـ): له كتاب: حسن التوسل إلى صناعة الترسل[١].

أثنى عليه ابن كثير في البداية والنهاية[٢]، وكذا الشوكاني في البدر الطالع[٣]، وهو من علماء الحنابلة[٤] المعدودين[٥] الذين شاركوا في التأليف البلاغي.

وكتابه حسن التوسل من الكتب البلاغية النادرة التي تجمع بين التنظير والتطبيق، ففيه جعل البلاغة وسيلة لإجادة الكتابة، فجمع بين الإفادة من تحليل عبدالقاهر، وتحديد السكاكي، وأردف ذلك بعرض نماذج من رسائله تتوافر فيها الصفات التي ذكرها في حديثه التنظيري.

ومما يحسن ذكره أن الحلبي في باب الإيهام ذكر أنه يسمى التورية والتخييل، وعرف التخييل بقوله: «التخييل: تصوير حقيقة الشيء للتعظيم»[٦]، ثم ذكر أن منه قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾، ثم عقب عليها بقوله: «والغرض منه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من

(١) حققه أكرم عثمان يوسف، ونشرته دار الرشيد في بغداد، ١٩٨٠م.
(٢) البداية والنهاية: ١٤، ١٢٠، ١٤٠.
(٣) البدر الطالع: ٢/ ٢٩٥.
(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٧٨.
(٥) ومنهم الطوفي، وعزالدين الموصلي، ومرعي الكرمي.
(٦) حسن التوسل: ٢٥٠.

غير ذهاب بالقبضة، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز»(١)، ثم استعان بقول الزمخشري: «ولا نرى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم السلام»(٢)، وهذه الموافقة للزمخشري بهذا الأسلوب تلقي ظلالاً من الريبة على معتقد الحلبي، فجعل الآية من المشتبهات على منهج الزمخشري هو نوع من الهرب عن الاعتراف بإثبات ما أثبته الله لنفسه، لأننا عرفنا في حديثنا عن الزمخشري أنه يجعل ما لا يوافق معتقده من الآيات المشتبهة، وتسليم الحلبي له بهذا أمر يؤخذ عليه، عفا الله عنا وعنهم.

* * *

محمد بن عبد الرحمن القزويني (٧٣٩هـ): له تلخيص المفتاح(٣)، والإيضاح(٤)، وهذان الكتابان أصبحا قطبي الرحى في التأليف البلاغي عند المتأخرين، فمن شارح أو محشٍ أو مقرر، أو ناظم.

اعتمد القزويني بصورة واضحة على الزمخشري، وعبدالقادر الجرجاني، إضافة إلى السكاكي، ولم يكن القزويني ملزماً لنفسه

---

(١) المصدر السابق.
(٢) حسن التوسل: ٢٥٠، وانظر: كلام الزمخشري في الكشاف، وفي البلاغة القرآنية في كشاف الزمخشري: ٥٢٥، والإيضاح (التورية): ٥٠١ خفاجي.
(٣) أكثر الطبعات شيوعاً بشرح البرقوقي، ومع شروح التلخيص.
(٤) طبع طبعات عديدة.

بالتقيد بما يراه هؤلاء، بل كان يناقش كل واحد منهم، فربما رجّح واحداً منهم وأخذ برأي آخر، وربما كان له رأي مستقل عنهم.

وعلى الرغم من اختلاف معتقد الزمخشري عن عبدالقاهر، فلم يكن القزويني ـ في أخذه عنهما ـ ينطلق من مبدأ عقدي، بل كان ينقل عنهما في قضايا البلاغة ما يرى أنه بحاجة إليه.

وجنوحه نحو الاعتزال أوقعه في مآخذ عقدية في عدد من أبواب البلاغة، ومن ذلك:

أولاً: في حديثه عن الإيجاز في علم المعاني جعل من أدلة الحذف العقل والتعين، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، ثم قدر المحذوف بقوله: «أي أمر ربك، أو عذابه، أو بأسه»[(١)]، وكرر الاستشهاد بالآية نفسها في حديثه عن المجاز بالحذف[(٢)] في علم البيان، دون أن يقدر المحذوف، فلعله اعتماداً على ما سبق، وفي هذا تأويل لصفة المجيء.

ثانياً: في حديثه عن المجاز المركب أورد قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وجعل الآية مجازاً عن التصرف[(٣)].

---

(١) الإيضاح: ٢٩٩ (ط خفاجي).
(٢) المصدر السابق: ٤٥٤.
(٣) المصدر السابق: ٤٣٩.

ثالثاً: وفي باب مراعاة النظير جعل منه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾، وعقب بما يفهم منه أن اللطيف ما لا يدرك بالبصر[(١)]، وهذا يعني إنكار الرؤية، وقد مرّ بنا عند الحديث عن ابن الزملكاني تفريقه بين الإدراك والرؤية.

رابعاً: جعل من المشاكلة[(٢)] قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾[(٣)].

خامساً: جعل آية الاستواء في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ مثالاً على التورية منطلقاً من دلالة لفظ استوى على معنيين[(٤)]، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة من إثبات الاستواء حقيقة على ما يليق به سبحانه.

ومما ينبغي الإشارة إليه في ختام الحديث عن القزويني. ما ذُكِرَ من دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ولقد تحمل أذى كثيراً[(٥)] بسبب ذلك، ولعل اشتراكه مع ابن تيمية في التدريس[(٦)] بالمسرورية سببٌ لهذه الوقفة الطيبة من القزويني.

* * *

---

(١) المصدر السابق: ٤٩٠.
(٢) الإيضاح: ٤٩٤ (ط خفاجي).
(٣) سورة المائدة: ١١٦.
(٤) المصدر السابق: ٥٠٠ (ط خفاجي).
(٥) انظر: القزويني وشرح التلخيص: ١٢٢.
(٦) المصدر السابق: ١٢٤ ـ ١٢٥.

شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد[١] الطيبي (٧٤٣هـ): له عدد من المؤلفات البلاغية أو ذات الصلة الوثيقة بالبلاغة منها:

١ـ كتاب التبيان في البيان[٢]، وهو من أنفس كتبه البلاغية، رصد فيه قضايا البلاغة النظرية بتقسيم متميز عن غيره، ثم ختمه بدراسة تطبيقية[٣] على حديث شريف طويل لمعاذ رضي الله عنه، نقله الطيبي عن رواية جامع الأصول للترمذي، وقام بتحليله بلاغياً

---

(١) وقيل الحسين بن محمد، وقد أخذت بما رجحه ثلاثة ممن درسوا حياة الرجل في مقدمات أطروحاتهم العلمية، انظر: مقدمة محقق لطائف التبيان: ٢٢.

(٢) طبعه بهذا العنوان كل من: د. توفيق الفيل، وعبداللطيف لطف الله، بتحقيق مشترك، الكويت، ١٤٠٦هـ.

ـ وحققه أيضاً: د. عبدالستار زموط في أطروحته للدكتوراه في كلية اللغة العربية بالأزهر، سنة ١٩٧٧م، ونشرته دار الجيل في بيروت، ١٤١٦هـ.

ـ كما حققه وطبعه بالعنوان السابق: عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة، د.ت.

ـ كما حققه وطبعه الدكتور هادي عطية مطر الهلالي بعنوان: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ونشرته عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

ـ ونال ثلاثة من الدارسين درجة الدكتوراه في تحقيق كل واحد منهم لصفة مستقلة.

ـ وكنت في عام ١٤٠٣هـ قد صورت نسختين مخطوطتين من الكتاب: إحداهما من تركيا، كتبت قبل وفاة المؤلف بعشرين سنة، والثانية من مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية، وكنت أرغب تسجيله موضوعاً للدكتوراه، فأبلغني د. زموط أنه هو موضوع رسالته للدكتوراه، فعدلت عن ذلك، وكاد الحاصلون على الدكتوراه من هذا الكتاب يكونون أربعة!!!.

(٣) انظر: التبيان (ط هادي الهلالي): ٥٢٤ ـ ٥٤١.

نظر فيه من أربع جهات(١): من جهة المعاني، ومن جهة البيان، ومن جهة البديع، ومن جهة الفصاحة.

٢ـ شرح التبيان: ذكره بعض من ترجم له، ولا يزال الكتاب في عداد المفقودات، ولعل الله ييسر العثور عليه؛ ليزيد رصيد هذا العالم الجليل في ميدان البحث البلاغي.

٣ـ لطائف البيان في علمي المعاني والبيان(٢)، ويرجح محققه الفاضل أنه(٣) تلخيص لكتابي مفتاح العلوم للسكاكي، ونهاية الإيجاز للرازي.

٤ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٤)، وهذا الكتاب حاشية على الكشاف، وهي أعظم الحواشي عليه، ويظهر من عنوانه أن غاية مؤلفه بيان ما فتح الله به عليه من كشف ما وقع في تفسير الزمخشري من مخالفات مريبة.

وذكر الإمام ابن حجر: «أن المؤلف قد أجاب فيه عمّا خالف الزمخشري به مذهب أهل السنة أحسن جواب، وأن من يطالع هذا الشرح يعرف فضل مؤلفه»(٥)، ونبه ابن خلدون إلى هذا الكتاب وأشاد به، ووصفه بأنه «شرح فيه كتاب الزمخشري . . .،

---

(١) انظر المصدر السابق: ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٣٧، ٥٤٠.

(٢) حققه وطبعه عبدالحميد هنداوي، ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة دون تاريخ.

(٣) انظر: لطائف التبيان: ٢٩.

(٤) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية: ١٤٥/ تفسير.

(٥) الدرر الكامنة: ٢/١٥٦.

وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، ومع إمتاعه في سائر فنون البلاغة»(١).

ولقد أعجب الإمام الشوكاني بهذا الكتاب، ووصفه بأنه حاشية على الكشاف، وحكم عليه بأنه أنفس حواشي الكشاف على الإطلاق(٢).

ويظهر أن الإعجاب بفتوح الغيب قد امتد إلى العصر الحديث، فَسُجِلتْ(٣) عددٌ من الرسائل العلمية في تحقيق بعض أجزائه.

٥ـ الكاشف عن حقائق السنن(٤)، وهو شرح لمشكاة المصابيح، أودعه الطيبي كثيراً من الفوائد، كان نصيبُ البلاغة فيها واضحاً مما أغرى بعض الباحثين بدراسة ما فيه من بلاغة(٥).

ويتضح من عرض مؤلفاته البلاغية أو ذات الصلة به أنه شمل بدراسته التنظير والتطبيق معاً، كما أسهم في دراسة البلاغة

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٧٨٨ ـ ٧٨٩، وانظر: لطائف البيان: ٢٣.
(٢) انظر: البدر الطالع: ١/ ٢٢٩.
(٣) انظر: ـ غير مأمور ـ إلى ما ذكره محقق لطائف التبيان حول بعض هذه الرسائل ص٢٩.
(٤) طبع بعنوان: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، بتحقيق المفتي عبدالغفار وآخرين، ونشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي ١٤١٣هـ.
(٥) علمت عن تسجيل موضوعات البيان في هذا الكتاب، في جامعة أم القرى.

القرآنية، والبلاغة النبوية، وهذا مما يحمد للطيبي رحمه الله، ويكاد بنفرد بهذه السمات من بين المشاركين في البحث البلاغي.

وأما معتقده فقد وصفه ابن حجر بقوله: «كان حسن المعتقد، ينهج منهج أهل السنة والجماعة[١]، ويتصدى لبدع الفلاسفة وأقوالهم المنحرفة، ويناقش هذه الأقوال، ويفندها، ويبيِّن زيفها»[٢]، ويمكنني أيها القارىء الكريم أن أذكر لك بعض مواقفه المحمودة التي وظّف فيها التوجيه البلاغي لما يخدم معتقد أهل السنة، فمن ذلك:

أولاً: في حديثه عن تقديم المسند إليه قال: «...فيفيد قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[٣] التخصيص لا التحقيق عندنا»[٤]، وهو بهذا يرد على الزمخشري، الذي جعل الفائدة من التقديم هي التوكيد فحسب هروباً من جعلها للاختصاص، حتى لا تصطدم بمعتقده في قضية الخلود في النار.

ثانياً: حين عرض للحديث عن اللف والنشر قال: «وقد يحذف أحد القرينتين من اللف لدلالة النشر عليه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[٥] على رأينا، إذ التقدير: لا ينفع نفساً إيمانها ـ حينئذ

---

(١) المصطلح في هذا النص يشمل الأشاعرة والماتريدية.
(٢) الدرر الكامنة: ٢/١٥٦.
(٣) سورة البقرة.
(٤) التبيان: ٩٨.
(٥) سورة الأنعام: ١٥٨.

ـ أو كسبها في إيمانها خيراً، أو لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً من قبل»[١]، وبهذا يمكن الرد على المعتزلة كالزمخشري الذي يرى[٢] أن الإيمان وكسب الخير لا ينفع بعد ظهور الآيات، لتوهمه أن الله سوّى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به[٣]، وقد قال ابن المنيّر في حاشيته على الكشاف: «. . . لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير، وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود»[٤]، وهذا الموقف من الطيبي استثمار حسن لموضوع اللف والنشر، ليكون معيناً في الرد على المعتزلة ودحض رأيهم، والانتصار لمذهب أهل السنة، دون تكلف أو لجوء إلى تأويل بعيد.

ومع هذه المواقف الحسنة نصادف عند الطيبي بعض المخالفات لمنهج أهل السنة، فمن ذلك:

أولاً: في حديثه عن الكناية، جعل من أمثلتها قوله جل وعلا في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، ثم قال: «إنه كناية عن الملك، فإن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك، فجعلوه كناية عنه»[٥]، ومع أن الكناية يمكن دلالتها على

---

(١) التبيان: ٤٠١.
(٢) انظر: الكشاف: ٢/٦٣ ـ ٦٤.
(٣) انظر: الكشاف: ٢/٦٣ ـ ٦٤، ومغني اللبيب لابن هشام: ٢/٦٩٦، وأنوار التجلي: ١/٢٤ب، والبلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٩٧٩ ـ ٩٨١.
(٤) الانتصاف (مطبوع في حاشية الكشاف): ٢/٦٣.
(٥) التبيان: ٢٧٨.

ظاهر الكلام ولازمه[١]، إلا أن المراد منها في عرف البلاغيين هو لازم الكلام[٢]، ولذلك فالمفهوم من جعل هذه الآية من الكناية دلالتها على الملك، والصواب أن نثبت صفة الاستواء على حقيقتها، ونفوض أمر الكيفية إلى الله عز وجل، فالله سبحانه مستوٍ استواءً حقيقاً يليق بجلاله، ونمسك عن الخوض في كنه هذا الاستواء.

كما جعل الطيبي من الكناية قوله عز وجل في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾، ثم قال: «فالزبدة هي تصوير عظمته وكنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهتي حقيقة ومجاز»[٣]، وهذا تفويض مطلق للمعنى والكيف، والحق إثبات صفتي القبضة واليمين على سبيل الحقيقة، وتفويض الكيفية إلى الله عز وجل، فله منهما ما يليق بجلاله وعظمته، وقد مرّ مثل ذلك عند الحديث عن شهاب الدين الحلبي، عفا الله عن الجميع.

ثانياً: وحين تحدث الطيبي عن الاستعارة التمثيلية، ذكر أن منها كون التخييلية مؤكدة لمعنى المشاكلة، ومثل لها بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

---

(١) وتعريفها أنها: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، وهذا ما يميزها عن المجاز، انظر: الإيضاح: ٥/١٥٨.
(٢) فلازم المعنى هو المقدم على المعنى الأصلي في الكناية.
(٣) التبيان: ٢٧٨.

فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾، ثم عقب على ذلك بقوله: «أكّد بقوله: ﴿يد الله﴾ بعد التخييل معنى المشاكلة في يبايعون الله»[1]، والمأخذ عليه أنه جعل المبايعة لله مشاكلة، وهذا يتنافى مع أسلوب القصر الذي ورد في الآية بإنما، وهو يدل على تأييد حقيقة المبايعة.

يقول الشيخ محمد العثيمين ـ حفظه الله ـ عن هذه الآية: «وقد أخذ السلف ـ أهل السنة ـ بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[2]، ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[3] أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له؛ لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٢.
(٢) سورة الفتح: ١٨.
(٣) سورة الفتح: ١٠.

أرسله؛ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[1]، وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة وعظمها، ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد»[2].

ويفهم مما قاله فضيلة الشيخ محمد العثيمين أن المبايعة حقيقة لله تعالى تمت عن طريق رسوله ﷺ.

ثالثاً: في باب المجاز اللغوي من كتاب لطائف التبيان جعل[3] منه قوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ على تقدير محذوف، والغريب أنه في الباب نفسه[4] من كتاب التبيان لم يذكر ذلك.

رابعاً: جعل من باب المشاكلة[5]:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾.

وقوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾.

وهذا تأويل لصفتي المكر، والنفس، وقع في ذلك كما وقع

(١) سورة النساء: ٨٠.
(٢) القواعد المثلى: ٧٣ ـ ٧٤.
(٣) لطائف التبيان: ١٠٨.
(٤) التبيان: ٢١٧ ـ ٢٢٢.
(٥) التبيان: ٣٤٧ ـ ٣٤٨، ولطائف التبيان: ١٣٥.

عدد غير قليل من البلاغيين فيه.

وأختم الحديث عن الطيبي بالإشارة والإشادة بما لحظه أحد[١] محققي التبيان، من ترفع الطيبي عن الاستشهاد بالشعر المكشوف، وكانت موضوعات الشعر الذي استشهد به هي الحكمة والزهد والحماسة مع وفائها بالجوانب الفنية[٢]، رحم الله الطيبي وغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

* * *

يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ): له كتابا: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)[٣]، و(الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية)[٤]، والكتاب الثاني هو كالشرح للكتاب الأول.

---

(١) هو الدكتور هادي عطية.

(٢) انظر: التبيان: مقدمة المحقق: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) طبع عدداً من الطبعات، أكثرها شيوعاً، طبعة سيد المرصفي وما صوّر عنها، وهذه الطبعة عن نسخة مخطوطة واحدة. ويقوم الأخ الكريم الشيخ عبدالمحسن العسكر بتحقيق الكتاب، فجمع عدداً من النسخ المخطوطة، ومنها نسخ نفيسة ذات صلة وثيقة بالمؤلف، ستسهم إن شاء الله في تقويم نص الكتاب، ومما يشوقنا لهذا التحقيق أن المحقق الفاضل أخذ على نفسه قراءة نص الكتاب على أستاذنا الجليل الشيخ عبدالرحمن البراك أستاذ العقيدة في جامعة الإمام، ليقفه على كل ما يحتاج إلى تعليق في مسائل العقيدة، ذلك كله إضافة إلى إفادة المحقق من المختصين بالبلاغة، وفي مقدمتهم فضيلة مشرفه.

(٤) حقق الكتاب رياض القرشي، وحصل بهذا التحقيق على درجة الماجستير من جامعة القاهرة، ولا يزال الكتاب مرقوناً على الآلة الكاتبة.

والمؤلف من أكابر أئمة الزيدية[١]، وهم أقرب طوائف الشيعة إلى أهل السنة، وهم موافقون للمعتزلة في أكثر أصولهم[٢] ولهذا فالعلوي يسلك منهج الاعتزال، فله كتاب بعنوان: (التمهيد لعلوم العدل والتوحيد)، والعدل والتوحيد ـ كما هو معروف ـ أصلان من أصول المعتزلة.

ومما يمكن التنبيه عليه مما ورد من مخالفات في كتابي العلوي ما يلي:

أولاً: تأويله لصفتي اليد[٣]، والاستواء[٤]، معتمداً على الاستعارة التخييلية.

ثانياً: تأويله لصفة المجيء مستنداً على القرينة العقلية، ففي حديثه عن الفرق بين الحقيقة والمجاز، جعل منه «أنهم إذا علقوا الكلمة بما يستحيل عقلاً تعلقها به علم أنها في أصل اللغة غير موضوعة لها، فيعلم كونها مجازاً»[٥]، ثم مثل لذلك بقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، وعلق عليها بقوله: «فإنه يستحيل عقلاً تعلق المجيء بالذات؛ لاستحالته

---

(١) البدر الطالع: ٢/ ٣٣١، والتعريف بكتاب الطراز للشيخ عبدالمحسن العسكر: ١١ ـ ١٢، وكثيراً ما يردد المؤلف رأي الزيدية في كتابيه الطراز والإيجاز، انظر الطراز: ٣/٧، والإيجاز: ٢٠، ٣١٩، ٣٤٨.

(٢) أصول مذهب الشيعة، للقفاري: ١/ ٩٥.

(٣) انظر: الطراز: ١/ ٧٠، ١٤٥.

(٤) انظر: الطراز: ١/ ١٤٥.

(٥) الطراز: ١/ ٩٣.

عليها، فيعلم أن استعمالها مجاز بالنقصان، وأن الأصل: وجاء أمر ربك»[١]، وهكذا ينطلق العلوي من مبدأ عقلي؛ ليتخذ منه ذريعة لتأويل صفة المجيء، بحجة القرينة، والأصل أن يجري الكلام على ظاهره ما لم تقم قرينة معتبرة تنقله عن هذا الظاهر، ولا قرائن في أسماء الله وصفاته تمنع من إجرائها على ظواهرها، ولكن المنهج الاعتزالي للعلوي هو الذي جعله يفزع إلى العقل!!.

ثالثاً: حكى العلوي اختلاف الأشاعرة والمعتزلة حول دلالة اللفظ على معناه، وذلك في حديثه عن الحقيقة والمجاز[٢]، ثم حكى اختلاف الفرق في وقوع المجاز في القرآن، وانتصر[٣] لما تراه الزيدية والمعتزلة.

رابعاً: عرّج العلوي على أهم المآخذ على المجاز، وأنه يؤدي إلى حصول مطاعن في ذات الله، وفي صفاته وفي كلامه، وناقش هذه المسألة، وبين رأيه فيها، معتمداً في ذلك كله على البرهان العقلي[٤].

خامساً: دفاعه[٥] عن رأي الزمخشري في معنى النفي بـ (لن)، ورده على ابن الزملكاني الذي بين أن منطلق الزمخشري

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الإيجاز: ٣١٩ ـ ٣٢١، وانظر: الطراز: ١/ ٨٣، وفيه لم يسم الفرق.
(٣) الإيجاز: ٣٤٨.
(٤) انظر: الطراز: ١/ ٨٥.
(٥) الطراز: ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١.

في معنى (لن) عقدي، وانتصار العلوي للزمخشري إنما هو بسبب اشتراكهما في الاعتزال، والله أعلم.

وما ساقه ابن الزملكاني[١]، ووافقه ابن القيم[٢] رحمهما الله كاف في الإقناع بأن (لا) أطول في النفي من (لن)، ومن هنا يكون نفي رؤية الله ليس على التأبيد، والله أعلم.

* * *

عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار: عضد الدين الأيجي (٧٥٦هـ): له في البلاغة كتابا: (الفوائد الغياثية)[٣]، و(المدخل)[٤].

وعضد الدين الأيجي أشعري، له كتاب: المواقف في علم الكلام، وهو يمثل الصياغة النهائية لمذهب الأشاعرة[٥].

ومما ينبه عليه في كتاب الفوائد الغياثية ما يلي:

أولاً: أنه جعل من الاستعارة التخييلية قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[٦]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُواْ

---

(١) التبيان: ٨٤ ـ ٥٨، والبرهان: ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٢) بدائع الفوائد: ١/ ٨٧.
(٣) طبع بتحقيق الدكتور عاشق حسين، ونشرته دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٢هـ.
(٤) انظر: مقدمة محقق الفوائد الغياثية: ٢٦، وقد أشار إلى أنه مخطوط، ص١٧٥.
(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٦٨٩.
(٦) سورة الفتح: ١٠.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٥٤﴾، وهذا فيه تأويل لصفتي اليد، والمكر.

ثانياً: حين تحدث عن المجاز ذكر أنه يكون بالنقصان، ومثّل لذلك بقوله تعالى حل وعلا في سورة يوسف: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾، ولم يذكر غيرها كآية سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾، ولا أدري، هل السبب عدم الرغبة في تأويل المجيء، أو أن طبيعة كتابه الاختصار، فلم يرغب في الزيادة؟!! والله أعلم.

* * *

شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية (٧٥١هـ): ليس لهذا العالم الرباني كتاب خاص بالبلاغة، والكتاب الذي نشر منسوباً إليه بعنوان: (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)[١]، شكك في نسبته إليه عدد من الأفاضل[٢]، وقد جمع الدكتور عبدالفتاح لاشين بعض آراء ابن القيم البلاغية في كتاب جعل عنوانه: (ابن القيم وحسه البلاغي)[٣]، كانت جلّ مادته من كتاب بدائع الفوائد، ولم يعتد الدكتور لاشين ـ وفقه الله ـ بكتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن.

---

(١) طبع مرات عدة، منها طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، د.ت.
(٢) منهم الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب: ١٣ ـ ١٤، وكتاب ابن القيم حياته وآثاره، للشيخ بكر أبوزيد: ١٨٤ ـ ١٨٥، وابن القيم وحسه البلاغي: ٢٦ ـ ٣٠.
(٣) ابن القيم وحسه البلاغي، للدكتور عبدالفتاح لاشين، نشر دار الرائد العربي.

وقد أثبت[١] الدكتور زكريا سعيد على أن كتاب الفوائد إنما هو مقدمة ابن النقيب لتفسيره، وكنت قد ذكرت أن كتاب الفوائد المشوق يمكن أن يكون هو مقدمة ابن النقيب، أو، له به صلة وثيقة، وذلك في أطروحتي[٢] للدكتوراه، ولكني تأخرت في نشر ذلك، ففاز بهذا البيان، وتوضيح الخطأ وبيان الصواب، الدكتور الفاضل زكريا سعيد.

وإذا كان الكتاب البلاغي (الفوائد المشوق) قد نسب لمؤلفه، فيبقى لابن القيم آراء بلاغية مبثوثة في كتبه الكثيرة النافعة، ولعل من أهمها كتاب بدائع الفوائد، ففيه من البدائع البلاغية ما يكشف عن بلاغة سَنيَّة سُنّيَّة، تدل على سعة في ثقافة الرجل، ودقة في الفهم، وصواب في الرأي، وآراؤه البلاغية تمثل الاتجاه السني في البلاغة.

وقد أفدت من آراء ابن القيم البلاغية[٣] في بحثي الذي هو في مرحلة الطباعة الآن: (من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم).

* * *

(١) مقدمة تفسير ابن النقيب، تحقيق د. زكريا سعيد: ١١ ـ ٣١، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٥هـ.
(٢) البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ١٨١ ـ ١٨٢.
(٣) علمت أن إحدى الأخوات قدمت أطروحة للماجستير بعنوان من أسرار النظم القرآني عند ابن القيم، ولم أشرف بالاطلاع على الرسالة. انظر: دليل عناوين الرسائل العلمية لرسائل الماجستير والدكتوراه بكليات البنات حتى نهاية محرم ١٤١٥هـ، ص ١٨٤.

صفي الدين الحلي (٧٥٠هـ): له كتابا: (نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية)[١]، و(الدر النفيس في أجناس التجنيس)[٢].

وصفي الدين الحلي من الشيعة[٣]، ويظهر أنه ليس من غلاتهم.

وقد ورد في بديعيته حين استشهد على نوع جمع المؤتلف والمختلف قوله[٤]:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا
سوى الإخاء ونص الذكر والرحم

وهو ـ هنا ـ يتحدث عن الصحابة وأنهم متساوون في الفضل، ولكن علياً رضي الله عنه يتميز بإخائه لرسول ﷺ، وقرابته له، وذكر القرآن لذلك، وبقية الصحابة عدموا ذلك.

وكان هذا الموقف من الحلي سبباً في تأليف عزالدين الموصلي لبديعيته وشرحها كما سنعرف بعد قليل إن شاء الله.

ومما يؤخذ على الحلي إيراده شاهداً ماجناً

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي بعنوان: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ، وقد بينت صحة اسم الكتاب كما هو مذكور (أعلاه) في البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٥٠ ـ ٥٣.

(٢) ذكره الحلي في كتابه: انظر شرح الكافية البديعية: ٧١، وهو لا يزال مخطوطاً.

(٣) شرح الكافية البديعية: ٢٣، وانظر: التوصل بالبديع: ١٤أ.

(٤) شرح الكافية البديعية: ٢٨٧.

مكشوفاً[١] في حديثه عن الاقتباس، فيه عبث وسخف، واستهزاء بآيات القرآن الكريم، ولا يعفي الحلي أنه جعل ذلك من الاقتباس المردود المرذول. عفا الله عنّا وعنه.

* * *

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ): له من الكتب ذات الصلة بالبحث البلاغي: نصرة الثائر على المثل السائر[٢]، فض الختام عن التورية والاستخدام[٣]، جنان الجناس[٤]، الهول المعجب في القول بالموجب[٥]، كتاب في الاستعارة[٦].

لم أقف على تحديد معتقده، والظاهر أنه أشعري، لما سأذكره بعد قليل من ملحوظات لا تختلف عمّا عند الأشاعرة.

ففي مناقشته لمصطلح الإيهام أورد قوله تعالى في سورة النور: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾،

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٧.
(٢) طبع بتحقيق محمد علي سلطاني، ونشر عام ١٣٩١هـ.
(٣) طبع بتحقيق الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي، ونشر دار الطباعة المحمدية عام ١٣٩٩هـ.
(٤) طبع بتحقيق سمير حسين حلبي، ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤٠٧هـ.
(٥) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم: ٤٣٥ بلاغة.
(٦) لا أدري أتمكن الصفدي من تأليفه أم لا؟، لأنه قال وهو يتحدث عن الاستعارة: «وإن فسح الله في الأجل وضعت فيها مصنفاً قائماً بالذات، كما وضعت هذا في التورية، وكما وضعت جنان الجناس في الجناس»، فض الختام: ١٧٧.

وقال: «لأن من لا يحسن التلاوة يتوهم دَينهم - بفتح الدال - تمسكاً بقرينة يوفيهم، فجعل الثواب على الله ديناً من المبالغة، والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، وله عقاب الطائع وثواب العاصي»(١)، وهذا الكلام فيه ردٌّ على المعتزلة الذين يوجبون عليه بعض الأفعال، ويتحدثون عن ذلك في الأصل الثاني من أصولهم الخمسة وهو العدل(٢).

وقال وهو يناقش مصطلح التخييل، وبعد ذكره لقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾: «وهو كناية عن القدرة والاستيلاء، ولذلك قال بيمينه دون في يمينه تجنباً لإيهام الظرفية التي هي من لوازم الأجسام»(٣)، وهو بهذا يؤول القبضة واليمين، ويجعلها كناية من القدرة والاستيلاء.

وذكر من أمثلة التورية قوله عز وجل في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ثم قال: «وأكثر المتشابهات من هذا القبيل. وكذا قال الإمام فخرالدين في نهاية الإيجاز»(٤)، فهو يوافق الرازي الأشعري

---

(١) فض الختام: ١٥٣.
(٢) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم: ١٥٢ - ١٥٣.
(٣) فض الختام: ١٦١.
(٤) المصدر السابق: ١٦٢.

في جعل ذلك من المتشابهات والفزع إلى التخييل لتأويل تلك الصفات.

وقد يكون موقف الصفدي سلبياً، فحين تحدث عن الاشتراك ذكر أنه كان وسيلة لابن الفارض، وعفيف الدين التلمساني وغيرهما «في التورية عن مذهبهم الذي يرمون به من القول بالوحدة وإظهار ذلك مظهر الغزل»(١)، واكتفى الصفدي بهذا الإخبار دون أن يكون له رأي صريح في نقد مثل هذا التوجه.

وأختم الحديث عن الصفدي بالإشارة إلى تساهله في رواية المجون شعراً ونثراً، فالذي يقرأ في كتابه: «الغيث المسجم في شرح لامية العجم»(٢) يدرك ما فيها من الفحش في القول، والذي يقرأ عنوان كتابه (الحسن الصريح في مائة مليح)(٣) يعرف ما لدى الرجل من تساهل. عفا الله عنا وعنه.

* * *

أحمد بن علي بن عبدالكافي: بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ): له كتاب: عروس الأفراح في شرح تلخيص

---

(١) فض الختام: ١٩٨.

(٢) فض الختام: (مقدمة المحقق: ١٩).

(٣) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم: ٥٦٥٧، وأخرى في دار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية برقم: ٢٣٦ أدب. انظر: فض الختام: (مقدمة المحقق: ١٩).

المفتاح[١].

وبهاء الدين السبكي سليل عائلة علم أشعرية أسهمت في كل فن، فأبوه تقي الدين[٢] صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها مما يتصل بالبلاغة:

الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض[٣]، والاقتناص في الفرق بين الحصر والقصر والاختصاص في علم البيان[٤]، وأحكام كل وما تدل عليه[٥]، ووشي الحلى في تأكيد النفي بلا[٦]، وسبب الانكفاف عن إقراء الكشاف[٧]، وهذا الأخير أملاه حين وقف على طوام الزمخشري في كشافه ومخالفاته العقدية، ونيله من رسول الله ﷺ[٨].

وأخوه تاجُ الدين صاحب الموسوعة القيمة طبقات الشافعية.

---

(١) طبع ضمن شروح التلخيص، وعلمت أنه حقق برسالة علمية في مصر، ولما يطبع!.
(٢) انظر: ترجمته في طبقات الشافعية لابنه تاج الدين: ١٠/ ١٣٩ ـ ٣٣٨.
(٣) طبقات الشافعية: ١٠/ ٣١٢، ومنه نسختان مخطوطتان الأولى في مكتبة جامعة الإمام برقم: ٣٥٥٦ مصورة عن مكتبة راشد أفندي، والثانية في مكتبة جامعة الملك سعود برقم: ٥/٢٢٦ م ص، وتقع في أربع لقطات.
(٤) طبقات الشافعية: ١٠/ ٣١٥، وانظر: عروس الأفراح (شروح التلخيص: ٢/ ١٥٤ ـ ١٦٠).
(٥) طبقات الشافعية: ١٠/ ٣٠٨.
(٦) طبقات الشافعية: ١٠/ ٣٠٩، وانظر: عروس الأفراح: ٢/ ١٨٧.
(٧) طبقات الشافعية: ١٠/ ٣١٤.
(٨) انظر: معيد النعم ومبيد النقم: ٨٠، ٨١، وانظر: منهج الزمخشري: ٢٦٧.

ومما يحمد لبهاء الدين السبكي ردوده على المعتزلة في كل مناسبة بلاغية تعرض، ومن ذلك:

أولاً: حين تحدث عن دلالة الاسم على الثبوت ذكر تنبيهاً قال فيه: «ليت شعري! ماذا يصنع الزمخشري في أنه لا يزال يصرح بدلالته الاسم على الثبوت والاستقرار[١] ـ ولا شك أن المراد بالثبوت والاستقرار[٢] ثبوت المصدر الذي يشتق منه الاسم ـ ثم يقول: إن أسماء الله سبحانه مشتقات لا تستلزم صدق أصلها؟!، فأي ثبوت عنده في نحو: عليم وسميع إذا كان ينكر أصل العلم والسمع؟!، ولكنه لا يزال يستعمل القواعد البيانية ما لم تغط عليه للبدعة الاعتزالية، فيعدل عنها»[٣]، فهذه اللفتة الرائعة من السبكي تكشف شيئاً من تناقض الزمخشري حول الإقرار بمبدأ دلالة الاسم على الثبوت، ثم يزعم الزمخشري أن أسماء الله مشتقات لا تستلزم صدق أصلها، فكيف يجتمع الإقرار والإنكار لشيء واحد في وقت واحد؟!!.

ثانياً: قال السبكي وهو يتحدث عن الحمد: «وقد يستأنس بأن الحمد لا يكون لغير الله تعالى بما ورد في الكتاب والسنة من أنه تعالى (له الحمد)، وهذه صيغة اختصاص، وبالاستغراق الذي هو ظاهر الألف واللام في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[٤]».

---

(١) كذا في المطبوع أقول: لعلها: الاستمرار.

(٢) كذا في المطبوع أقول: لعلها: الاستمرار.

(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢/ ٣١).

(٤) سورة الفاتحة.

فأما قول[١] الزمخشري إن الاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس في الحمد وهمٌ، فقيل: إنها نزعة اعتزال، لأنهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأنهم يحمدون عليها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكأن قائل هذا القول لم يطرق سمعه قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٢]، وقوله ﷺ عند الصباح: «اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك»[٣].

وقيل: أراد أن الألف واللام ليست للاستغراق إذا دخلت على اسم الجنس، وليست كذلك!، بل هي للاستغراق عنده، وعند الأكثرين.

وقيل: إن أراد أن التقدير: أحمد الله حمداً؛ لأنه مفسر بقوله: ﴿إياك نعبد﴾، فكان المقصود به حمداً خاصاً، فلا تكون للاستغراق، وإن أراد ذلك، ففيه نظر»[٤].

ومع مخالفة السبكي للزمخشري في رأيه إلا أنه يضع الاحتمالات والافتراضات لمراد الزمخشري، وفي هذا الصنيع غاية العدل.

---

(١) انظر: الكشاف: ١/٥٠.
(٢) سورة النحل: ٥٣.
(٣) رواه أبوداود: ٤/٣١٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٧/١٣٧، وابن السني برقم: ٤١، ص٢٣.
(٤) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/٣٦ ـ ٣٧).

ثالثاً: قد يكتفي السبكي ببيان ما يعتقده دون تعرض صريح لرأي غيره، كما فعل حين تحدث عن تأكيد الخبر في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إذ قال: «...فخبر الله لا يخلف، وعيداً كان أم غيره، على رأي أهل السنة[١]، ومن عفي عنه من العصاة لم يدخل في عموم الوعيد.»[٢].

رابعاً: نبه السبكي على مخالفة الزمخشري لنفسه والبلاغيين حين جعل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ بمنزلة قول الشاعر:

هُمُ يفرشون اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ وأَجردَ سَبَاحٍ يبذُّ المغالِبَا

في دلالته على قوة أمرهم، وليس على الاختصاص[٣]، فقال السبكي معقباً: «وهي دسيسة اعتزال؛ لأنه لو جعلها[٤] ـ هنا ـ للاختصاص لزمه تخصيص عدم خروج الكفار، فيلزم خروج أصحاب الكبائر من المسلمين كمذهب أهل السنة، والزمخشري أكثر الناس أخذاً بالاختصاص في مثل هذا وغيره من قواعد البيانيين، فإذا عارضه الاعتزال فزع من قواعدهم إليه»[٥]، ويلحظ القارىء الكريم أن الزمخشري تفادى التصريح بفائدة تقديم المسند

---

(١) المصطلح في هذا النص للسبكي يدخل فيه الأشاعرة والماتريدية.
(٢) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٢١٢).
(٣) انظر: الكشاف: ١/ ٢١٢.
(٤) الضمير يعود على فائدة تقديم المسند إليه.
(٥) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٤٢٤).

إليه، واكتفى بجعل التقديم في الآية بمنزلة التقديم في البيت، والتقديم في البيت ـ عند كثير من البلاغيين[١] ـ الغرض التقوية والتوكيد، وليس الاختصاص، ولعل هذا التصرف من الزمخشري فيه محاولة للتدليس على القارىء، ولكن أنى له أن يدلس على السبكي وأمثاله؟!!.

خامساً: انتقد السبكيُّ السكاكيَّ حين عبرّ بقوله (خالق لما يشاء) في باب حذف المسند إليه، إذ جاء بذلك القول مثالاً لغرض التعين أي تعين المسند للمسند إليه، وبيّن السبكي أن زيادة السكاكي لعبارة (لما يشاء) إنما ذكرت اعتزالاً[٢]، انطلاقاً من رؤية المعتزلة في أن العبد خالق ولكن ليس لكل شيء.

وقد مرّ الحديث عن هذه القضية في أثناء الحديث عن السكاكي.

سادساً: في باب المجاز العقلي ردّ السبكيّ[٣] على الخطيبي[٤] ـ شارح المفتاح ـ في قضية إسناد الإنبات إلى الربيع، وما نسبه الخطيبي للسكاكي من أنه لا يرى أن أسماء الله توقيفية، وأخذه ذلك من كلامه على نحو: أنبت الربيع البقل على ما

---

(١) انظر مثلاً: دلائل الإعجاز: ١٢٩.
(٢) انظر: عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٢٧٩)، ومفتاح العلوم: ١٧٦.
(٣) انظر: عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).
(٤) لعله الخطيبي الخلخالي، فله شرح للمفتاح، انظر: مقدمة التبيان للطيبي مقدمة تحقيق د. الفيل، ص٢٢، وله شرح للتلخيص حقق في رسالة علمية في جامعة الأزهر.

يقتضيه لفظه.

فبين السبكي ضعف ذلك، ولا يكون استنباط الخطيبي صحيحاً إلا إذا كان مراده أن السكاكي يرى أن الأسماء اصطلاحية؛ لكونه معتزلياً[(١)].

سابعاً: حديث السبكي عن الاستعارة التخييلية في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ نقله عن الزمخشري[(٢)]، وفيه تفويض مطلق لمعنى القبضة واليمين، لأنه يقول: «من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز»[(٣)].

ثم أثنى على باب التخييل بقوله: «ولا نرى باباً في علم البيان أدق وألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات»[(٤)]، وبهذا يتفق السبكي مع الزمخشري في اللجوء لباب التخييل حين يكون النص مخالفاً لما يراه المعتزلة أو الأشاعرة.

* * *

ابن مالك الرعيني (٧٧٩هـ): له كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة[(٥)]، شرح فيه بديعية صاحبه ابن جابر الأندلسي التي سمّاها:

---

(١) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٢٦٩).
(٢) انظر: الكشاف والبلاغة القرآنية في كشاف الزمخشري: ٥٢٥.
(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٤/ ٣٥).
(٤) المصدر السابق: ٤/ ٣٦.
(٥) طبع بتحقيق الدكتوره رجاء السيد الجوهري، ونشر مؤسسة الثقافة الجامعية =

الحلة السيرا في مدح خير الورى.

لم أقف على تصريح من المترجمين[١] له بتحديد معتقده، ولم أجد في كتابه ما يقدح في معتقده، بل وجدت مواقف محمودة له منها:

أنه حين تحدث عن اللف والنشر، وذكر قول الله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾، قال: «وفي هذه الآية محذوف، وهو المعطوف، وتقديره: وكسبها، وبهذا التقدير تندفع شبهة المعتزلة كالزمخشري وغيره، إذ قالوا[٢]: سوّى الله تعالى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به»[٣]، ومن هنا نرى أن اللف والنشر كان وسيلة جيدة في الردّ على المعتزلة، فاللف في كلمتين إحداهما مذكورة هي إيمانها، والثانية محذوفة هي كسبها دلّ على حذفها آخر الآية، فنشر كلمة إيمانها قوله تعالى: ﴿**لم تكن آمنت من قبل**﴾، ونشر كلمة كسبها قوله سبحانه: ﴿**أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾، وهذا النشر هو القرينة اللفظية على حذف كلمة اللف التي تقابله.

= الإسكندرية.

(١) انظر مثلاً: بغية الوعاة: ١/ ٤٠٣.

(٢) انظر: الكشاف: ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) طراز الحلة: ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

وقد أخذ بهذا الرأي عدد من العلماء[١].

* * *

علي بن الحسين بن علي: عزالدين الموصلي (٧٨٩هـ): له كتاب: التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع[٢]، وهو كتاب ضمّنه بديعيته وشرحها.

والموصلي حنبلي[٣] يشعر من يقرأ كتابه أنه من أهل السنة، والله أعلم.

وسبب نظمه لبديعيته التي شرحها في كتابه هو الردّ على صفي الدين الحلي حين عرّض بالنيل من الصحابة، كما مرّ معنا سابقاً، يقول الموصلي موضحاً سبب نظمه لبديعيته: «نظمتها تابعاً عبدالعزيز[٤] المذكور، وجردّتُ على المتشيعين سيفها المشهور، لأني رأيته عرّض بشيء من ذلك ... في أثناء قصيدته...»[٥]، وفي باب جمع المؤتلف والمختلف ذكر بيت الحلي، ثم ذكر بيته هو إذ يقول فيه:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا
ما قاله الرافضي النذل ذو الصمم

---

(١) انظر: أنوار التجلي: ١/ ٢٤ب ـ ٢٥أ نقلاً عن مغني اللبيب لابن هشام. وانظر: البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٢/ ٩٧٩ ـ ٩٨١.

(٢) لا يزال الكتاب مخطوطاً، ولدي منه نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم: ٦٠٧ بلاغة.

(٣) انظر مثلاً: الدرر الكامنة: ٢/ ١١٣.

(٤) عبدالعزيز بن سرايا هو صفي الدين الحلي.

(٥) التوصل بالبديع: ٤أ.

ثم علل هذا النقد العنيف المستحق بقوله: «. . . لأنه كذب في الثلاثة التي استثناها، لأن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً خليلاً من الناس، لاتخذت أبابكر . . . وذكر الله أبابكر في القرآن»[١]، ثم شرع في تعداد فضائل الصحابة، وقال: «هذا إجماع أهل السنة ـ حفظهم الله كما حفظوا الدين ـ، وأما قول عبدالعزيز: هم هم . . . لا يفهم منه مدح، وهذه الأمور الدينية التي لا يحب فيها ولا يبغض إلا الله وفي الله ينبغي العمل فيها بإخلاص على حكم التقوى، لا بحمية الجاهلية، وهوى الأنفس»[٢]، وهذا النقد الذي يعبق بشذا الذبّ عن أعراض صحابة رسول ﷺ أخاله دليلاً على حسن معتقد الموصلي، والله أعلم.

* * *

سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩١هـ): له ثلاثة كتب في البلاغة؛ اثنان منها شرح لتلخيص الخطيب القزويني: أحدهما مختصر[٣]، والثاني مطول[٤]، والكتاب الثالث شرح[٥] فيه القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

---

(١) التوصل بالبديع: ٧٢ب.

(٢) التوصل بالبديع: ٧٢ب.

(٣) ويسمى مختصر المعاني طبع مرات عديدة منها طبعة بتعليق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، ونشر (انتشارات سيد الشهداء).

(٤) صور عن طبعة حجرية قديمة، ومن صوره ما نشرته مكتبة الداودي بقم.

(٥) انظر: ما ذكره السيوطي في بغية الوعاة: ٢/ ٢٨٥.

وصفه أحد الباحثين أنه «ماتريدي صُلْبٌ»[١]، بل جعله[٢] فيلسوف الماتريدية.

ولهذا فلا نستغرب إن وجدنا له مواقف إيجابية كرده[٣] على الزمخشري في حديثه عن الحمد وبيان السر في تقديمها، ونوع الألف واللام فيها، فقد بيّن أن صاحب الكشاف قد بنى رأيه على معتقده الاعتزالي في خلق أفعال العباد.

كما لا نستغرب وقوعه في مخالفة منهج أهل السنة حين أوّل بعض الصفات في عدد من المواضع، ففي حديثه عن المجاز بالحذف أوّل صفة المجيء[٤]، وفي المجاز المرسل أوّل صفة اليد[٥]، وفي مراعاة النظير أنكر الرؤية[٦]، وفي المشاكلة أوّل النفس[٧]، وفي التورية أوّل الاستواء[٨].

* * *

أبوبكر بن حجة الحموي (٨٣٨هـ): له بديعية سماها تقديم أبي بكر[٩] وشرحها، ونشر الشرح بعنوان: خزانة

---

(١) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني: ١/ ٢٩٣.
(٢) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات: ١/ ٢٩٤.
(٣) المطول: ٦ ـ ٧.
(٤) المطول: ٤٠٦.
(٥) المصدر السابق: ٤٠٦، ٤٢٥.
(٦) المصدر السابق: ٤٢٠.
(٧) المصدر السابق: ٤٢٢.
(٨) المصدر السابق: ٤٢٥.
(٩) انظر: خزانة الأدب: ١٨.

الأدب[١]، وله: كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام[٢]، وله ثبوت الحجة على الحلي والموصلي[٣].

ومع أن ابن حجة جعل اسم بديعيته تقديم أبي بكر مورياً باسم الصديق رضي الله عنه وباسمه هو، ومع متابعته[٤] لعزالدين الموصلي في نقد الحلي، حين عرّض بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فإنه وقع في بعض المخالفات العقدية ـ غفر الله لنا وله ـ حين جعل[٥] قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾، وكذا قوله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ من باب المشاكلة فهذا تأويل يخالف مذهب أهل السنة.

بقي أمران يحسن التنبيه عليهما بشأن ابن حجة.

أولهما: صفة التعالي والعجب بالنفس، والتنقص من الآخرين، صفة ظاهرة في كتابه.

وثانيهما: كثرة إيراده للغزل الفاحش، وبخاصة التغزل بالغلمان.

---

(١) طبع طبعات حجرية قديمة، وصدرت له طبعة عن دار الهلال: ١٩٨٧م.
(٢) صدر عن المطبعة الآنسية، بيروت، سنة ١٣١٢هـ.
(٣) في هذا الكتاب أجهد ابن حجة نفسه ليثبت تميز أبيات بديعيته على أبيات بديعتي الحلي والموصلي الذين سبقاه في هذا الباب، ويعد الكتاب نموذجاً للدراسة النقدية في السرقات، وهو لا يزال مخطوطاً ولدي منه نسخة مصورة عن نسخة برلين ذات الرقم: ٧٣٦٩.
(٤) خزانة الأدب: ٢/ ٤٠٦.
(٥) المصدر السابق: ٢/ ٢٥٢.

وهذان الأمران وإن لم يكونا مطعنين في المعتقد إلا أنهما مظهر عيب وفسق.

* * *

جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): له في البلاغة عقود الجمان(١)، وفتح الجليل للعبدالذليل(٢)، ومجاز الفرسان إلى مجاز القرآن(٣)، وله بديعته وشرحها(٤)، وله جنى الجناس(٥)، وله نكت على تلخيص المفتاح(٦) لم يكمله، وله في بيان أسرار القرآن البلاغية: قطف الأزهار في كشف الأسرار(٧)، وله في علوم القرآن: الإتقان(٨)، ومعترك الأقران(٩)، أودعهما أحاديث مهمة

---

(١) أرجوزة وشرحها، نظم بها ما حواه تلخيص القزويني وزاد عليه، صدرت له طبعة قديمة عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٨هـ.

(٢) رسالة استخرج فيها السيوطي مائة وعشرين نوعاً بلاغياً من آية واحدة، طبعت بتحقيق عبدالقادر أحمد عبدالقادر، ونشر دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ.

(٣) ذكر السيوطي أنه اختصر فيه كتاب العز بن عبدالسلام وزاد عليه، انظر: الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٤) واسم البديعة نظم الدبيع في مدح خير شفيع، طبعت في المطبعة الوهبية، ١٢٩٨هـ.

(٥) طبع بتحقيق د. محمد علي رزق الخفاجي، ونشر الدار الفنية.

(٦) انظر: مقدمة محقق جني الجناس، ص٧.

(٧) كتاب تتبع فيه ما قيل في نظم القرآن وأسراره البلاغية، وحشد فيه نقولاً متنوعة، وكان يبدي رأيه في كثير من المواضع بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بالآية الثانية والتسعين من سورة التوبة.
طبع بتحقيق الدكتور أحمد بن محمد الحمادي، وإصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ١٤١٤هـ.

(٨) الإتقان طبع طبعات عديدة منها طبعة بتقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، ونشر دار ابن الكثير بدمشق، وبيروت، ١٤٠٧هـ.

(٩) طبع بتحقيق علي محمد البجاوي، ونشر دار الفكر العربي.

عن بلاغة القرآن.

ومع ما للسيوطي من فضل في كثرة مؤلفاته، وحرصه على بيان بلاغة القرآن، وإسهامه في التأليف البلاغي، فقد وقع منه ما خالف به منهج أهل السنة مثل:

١ـ تأويله لصفة المجيء في باب الحذف، وجعل المراد مجيء الأمر أو العذاب[(١)].

٢ـ تأويله للقبضة واليمين في باب التخييل[(٢)]، ومتابعته للطيبي.

٣ـ تعليقه بما يفهم منه متابعة القزويني والسكاكي والزمخشري في إنكار الرؤية في باب تشابه الأطراف، يقول: «فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب ما يدرك»[(٣)].

٤ـ تأويله لصفتي النفس والمكر في باب المشاكلة، يقول: «فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو مشاكلة»[(٤)].

٥ـ تأويله لصفتي الاستواء، واليد في باب التورية[(٥)].

* * *

---

(١) عقود الجمان: ٧١.
(٢) المصدر السابق: ١٠٠.
(٣) المصدر السابق: ١٠٩.
(٤) عقود الجمان: ١١٠ ـ ١١١.
(٥) المصدر السابق: ١١٣.

ابن كمال باشا (٩٤٠هـ): له في البلاغة: تغيير المفتاح[١]، وشرح تغيير المفتاح[٢]، وشرح مفتاح العلوم[٣]، وحواش على شرح المفتاح للسيد الشريف[٤]، والمزايا والخواص في الأسلوب البلاغي[٥]، ورسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة[٦]، ورسالة في مدار التجوز في الألفاظ[٧]، ومشاركة صاحب المعاني اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ[٨]، ورسالة في تحقيق المشاكلة[٩]، والتوسع في لغة العرب[١٠]، والتوسعات[١١]، ورسالة في الفصاحة[١٢]، ورسالة في صياغة الكلام[١٣]، ورسالة

---

(١) مختصر للقسم الثالث من المفتاح للسكاكي، يوجد منه نسختان مخطوطتان في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(٢) مخطوط منه نسخة في مكتبة لاله لي برقم: ٢٨٥٨.

(٣) ذكره الدكتور محمد أبوالفتوح، وأشار إلى أن له نسخة مخطوطة في الأسكوريال. انظر: ثلاث رسائل في اللغة: ١٢.

(٤) انظر: شذرات الذهب: ٨/ ٢٣٩.

(٥) طبع بتحقيق الدكتور حامد قنيبي، وانظر: بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها: ٢/ ٥١١ ـ ٥٥٢.

(٦) يوجد منها نسختان مخطوطتان في جامعة الملك سعود بالرياض، ونسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والروايات الإسلامية، وعلمت أن الدكتور حامد قنيبي حققها.

(٧) علمت أن الدكتور قنيبي حققها.

(٨) حققها الدكتور محمد حسين أبوالفتوح في ثلاث رسائل في اللغة: ١٦١ ـ ١٩٧.

(٩) حققها الدكتور ناصر الرشيد ضمن رسائل ابن كمال باشا: ٦٧ ـ ٧٦.

(١٠) حققها الدكتور ناصر الرشيد أيضاً: ٥٣ ـ ٦٥.

(١١) وهي غير التوسع، ولها عدد من النسخ في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(١٢) منها نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(١٣) كذلك لها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

في تقسيم المجاز[١]، ورسالة في تحقيق التغليب[٢]، ورسالة في بيان الأسلوب الحكيم[٣].

جعله أحد الباحثين من الماتريدية[٤].

ومما يمكن تسجيله ما ذكره في رسالة المشاكلة حين نقل قول السيد الشريف: «لا يطلق لفظ النفس إلا مشاكلة»[٥] عقب عليه بقوله: «أقول: هذا مردود لوقوع إطلاقه عليه تعالى بلا مشاكلة في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وقوله ﷺ: **(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**[٦].

وابن كمال لا يعترض على جعل لفظ النفس من المشاكله، وإنما يعترض على كلام السيد الشريف من أنه لا يطلق إلا مشاكلة.

وقد جعل ابن كمال باشا من المشاكله قوله تعالى في سورة

---

(١) منها نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود، وأخرى في مركز الملك فيصل.

(٢) حققها الدكتور ناصر الرشيد ضمن رسائل ابن كمال باشا: ٣٧ ـ ٥١.

(٣) حققتها وصدرتها بدراسة موسعة عن الأسلوب الحكيم، ونشرت الطبعة الأولى منها في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس عشر، شعبان، ١٤١٦هـ، وذكرت أرقام المخطوطات لكتب ابن كمال ورسائله البلاغية: ١٩ ـ ٢٣.

(٤) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس الأفغاني: ١/ ٣١٥.

(٥) رسائل ابن كمال باشا تحقيق د. ناصر الرشيد: ٧٤ ـ ٧٥.

(٦) صحيح مسلم: ١/ ٤٢.

المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، مشاكلة مع قوله في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[١].

فما أصلحه في حديثه عن صفة النفس أفسده بتأويل صفة اليد غفر الله لنا وله.

* * *

يوسف بن مرعي الحنبلي (١٠٣١هـ): له كتاب: القول البديع في علم البديع[٢]، وهو من أعلام الحنابلة[٣].

وقفت على مخالفة له لمذهب أهل السنة إذ جعل[٤] قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾[٥] مثالاً للتورية، وهذا فيه متابعة للخطيب القزويني الذي مثل بهذه الآية على التورية، وفي ذلك تأويل لصفة الاستواء.

* * *

الحسن بن عثمان المفتي (١٠٥٩هـ): له كتاب خلاصة المعاني[٦]، وكتاب المستصفى من التلخيص[٧]، يكاد هذا

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.
(٢) أوشكت على الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب.
(٣) انظر: النعت الأكمل للعامري: ١٨٩، وانظر: آثار الحنابلة في علوم القرآن: ١٥٩ ـ ١٦٢.
(٤) القول البديع في علم البديع: ٢٢أ.
(٥) سورة طه: ٥.
(٦) طبع بتحقيق الدكتور حسين، وصدر عن (الناشرون العرب) بالرياض.
(٧) انظر: خلاصة المعاني: ٦، ٨٧.

المؤلف يكون مجهولاً[١]، فلم يظفر محقق خلاصة المعاني بترجمة تكشف عن حياة هذا المؤلف، بله معرفة معتقده.

ويظهر أن اقتداءه بالخطيب القزويني أوقعه في تأويل ثلاث صفات هي: صفة المجيء في باب الحذف[٢]، وصفة الاستواء في باب التورية[٣]، وصفة النفس في باب المشاكلة[٤].

* * *

محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ): له كتاب: الروض الوسيع في الدليل المقنع على عدم انحصار علم البديع[٥].

والشوكاني من كبار علماء اليمن[٦]، عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكتابه البلاغي الآنف الذكر كتاب موجز يكشف عنوانه عن مضمونه، إذ ألفه رحمه الله ليدلل على أن علم البديع غير محصور

---

(١) انظر: ما قاله المحقق ص٦.
(٢) خلاصة المعاني: ٢٩٢.
(٣) خلاصة المعاني: ٤١٩.
(٤) خلاصة المعاني: ٤١٥.
(٥) الكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد تكرم الشيخ عبدالمحسن العسكر بإحضار نسخة من هذا الكتاب من مكتبة جامع صنعاء، والنسخة بخط المؤلف، ولعل الله ييسر أمر تحقيقها في قابل الأيام.
(٦) انظر: الأعلام للزركلي: ٧/ ١٩٠ ـ ١٩١، وانظر: حديثه عن نفسه في البدر الطالع: ٢/ ٢١٤ ـ ٢٢٥.

بأنواع محددة، فقد ذكر أنواعاً من البديع جديدة جُلُّها من الأنواع المركبة، ويذكر لكل نوع مثالاً أو أكثر.

* * *

وبعد هذا العرض، يحسن أن أختم الحديث بإعطاء لمحة سريعة عن التوجه لدراسة رأي أهل السنة في البلاغة في العصر الحديث.

التوجه لدراسة رأي أهل السنة في البلاغة في العصر الحديث

كان من توفيق الله لي أن أشترك[1] مع زملائي في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض في دراسة وضع فِقَر منهج الإعجاز البياني للقرآن الكريم في السنة المنهجية لمرحلة الماجستير، إذ عهد إليّ القسم بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور فريد محمد النكلاوي وضع تصور لمفردات المنهج، وكان من الأولويات التي رغبت في اقتراحها إظهار رأي أهل السنة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ووجد هذا الاقتراح موافقة وتأييداً من الأستاذ الدكتور فريد النكلاوي وفقه الله، وحين عرض التصور على مجلس القسم الموقر تساءل بعض أعضائه عن المصادر التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع!!!، فقيل له إن الأمر يحتاج إلى شيء من الجهد لمعرفة رأي أهل السنة في هذا الإعجاز، لأن رأي المعتزلة والأشاعرة خدم كثيراً، لوجود من يتبنى رأيهم وينشره بين الناس، وأهل السنة أحق بجهدنا من غيرهم، إضافة إلى أن طرح مثل هذا الموضوع الجديد!! يتلاءم

(١) كان ذلك في نهاية العام الجامعي ١٤١٠هـ.

مع طبيعة الدراسات العليا، ووافق المجلس مشكوراً على إضافة هذه الفقرة، وتبع ذلك تأييد من المجالس العلمية الأخرى، منذ ذلك الحين ونفسي تراودني بالتفرغ للكتابة في هذا الموضوع، غير أن أعباء العمل وصوارف الحياة حالت دون ذلك.

وتجاوز الأمر مسألة المنهج إلى حث طلاب الدراسات العليا في قسم البلاغة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه على التنبه إلى إبراز رأي أهل السنة في القضايا التي يدرسونها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل كانت تدون في مخططات بعض البحوث فِقَرٌ تنص على ذلك.

وقد قُدِّمَتْ ـ بحمد الله ـ أبحاث علمية بلاغية روعي فيها إبراز رأي أهل السنة في بعض قضاياها سواء في التنبيه على قضية تخدم أهل السنة، أم في الرد على من يخالفهم، ومن هذه الأبحاث:

١ـ رسالة الدكتوراه لصالح بن محمد الزهراني، وعنوانها: (بلاغة القرآن في سورة البقرة).

٢ـ رسالة الدكتوراه لناصر بن عبدالرحمن الخنين، وعنوانها: (النظم القرآني في آيات الجهاد).

٣ـ رسالة الماجستير لإبراهيم بن عبدالعزيز الزيد، وعنوانها: (البلاغة القرآنية في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي: دراسة وتقويماً).

٤ـ رسالة الماجستير لعبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر،

وعنوانها: (أسلوب الإنشاء في سور المفصّل [من سورة ق إلى سورة الناس]: دراسة تحليلية تطبيقية).

٥ـ رسالة الماجستير لعويض بن حمود العطوي، وعنوانها: (الضمير المنفصل في النظم القرآني: دراسة بلاغية تطبيقية).

٦ـ رسالة الماجستير لعلي بن خليفة السلطان، وعنوانها: (الأسرار البلاغية في سورة هود).

٧ـ رسالة الماجستير لأحمد بن صالح السديس، وعنوانها: (النفي في القرآن الكريم: دراسة بلاغية).

٨ـ رسالة الماجستير لإبراهيم بن منصور التركي، وعنوانها: (البلاغة عند شيخ الإسلام ابن تيمية).

٩ـ ويسعى المعيد سليمان بن عبدالعزيز الربعي لتسجيل رسالته للماجستير عن المعتقد وأثره في توجيه الرأي البلاغي عند المفسرين.

وكان من فضل الله عليّ وتوفيقه لي أن أشرفت على ثلاث رسائل من تلك الرسائل، وناقشت الرابعة.

ولا أدعي أن إظهار رأي أهل السنة مقصور على تلك الرسائل التي ذكرتها آنفاً، لكن ذلك ما أعرفه عن كثب، وربما خفيت عني جهود أخرى أدعو لأصحابها بالتوفيق والسداد، والله الموفق للجميع.

وإنه لمما يسعدني أن أرى هذا التوجه قد شق طريقه في رحاب البحث العلمي الرصين.

وهذا البحث الذي بين يديك ـ أيها القارىء الكريم ـ ما هو إلا ثمرة من ثمار هذا التوجه المبارك إن شاء الله، ولعله يكون ممهداً للدخول في دراسات مستفيضة تهتم بإظهار رأي أهل السنة في قضايا البلاغة كلها.

وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي

مما سبق يتضح أن أكثر الفرق تأليفاً في البحث البلاغي هم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، ثم يأتي بعد ذلك أهل السنة، وحين نلقي نظرة سريعة على انتماءات البلاغيين نجد أن معظمهم لا يخرج عن هذه الفرق ما عدا فئتين: الفئة الأولى: فئة الشيعة، وقد يجتمع في الشخص الاعتزال والتشيع، بل إن متأخري الشيعة انقلبوا معتزلة في الأصول، والفئة الثانية: هي التي لم يصرّح المترجمون بانتماءاتهم، ولا يظهر من مؤلفاتهم البلاغية ما يخالف منهج أهل السنة إلا في مواضع قليلة لا تعين على حسم مسألة الانتماء.

وقد وقفت على وجوه متعددة في مجال خدمة المعتقد من خلال البحث البلاغي ومن ذلك:

١ ـ نشوء فكرة بلاغية نقدية بسبب الخلاف العقدي:

يرجع بعض الباحثين أسباب نشأة الاختلاف في قضية اللفظ والمعنى إلى الخلاف بين بعض الفرق في معنى كلام الله عز وجل.

يقول الدكتور مهدي السامرائي في كتابه: (تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية)، بعد أن تحدث عن خلاف المعتزلة

والأشاعرة في معنى كلام الله: «لا غرابة إذن . . . أن ينشأ في جو هذا الخلاف مذهبان في البلاغة العربية:

مذهب اللفظيين، وهو يتعصب للفظ على المعنى.

مذهب المعنويين: وهو ينصر المعنى على اللفظ»[١].

والعلاقة بين الموضوعين تتماثل في أن الكلام عند المعتزلة هو الألفاظ المسموعة[٢]، وعند الأشاعرة: هو القول القائم بالنفس[٣]، يعني المعنى.

أما مَنْ ينصر اللفظ، ومن يقدم المعنى، فلم يوفق الباحث في عرضها ـ كما أرى ـ.

٢ـ أن يكون الجانب العقدي هو سبب تأليف الكتاب:

ويمكن التمثيل لهذا الأمر بالأمثلة التالية:

الأول: تأليف ابن قتيبة (٢٧٦هـ) يرحمه الله لكتابه تأويل مشكل القرآن، فقد ذكر أنه ألفه للرد[٤] على الطاعنين في القرآن من وجوه متعددة منها اشتماله على المجاز، وبعض الأساليب التي يظن أنها مخالفة للغة العربية مثل: الزيادة والتكرار وغيرهما.

الثاني: تأليف عزالدين الموصلي لبديعيته وشرحها المعروف

---

(١) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ٧٨.

(٢) انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبدالله الجديع: ٢٧٧، وتأثير الفكر الديني: ٧٨.

(٣) تأثير الفكر الديني: ٧٨.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٢ ـ ٢٣.

بالتوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع[١]، سببه الرغبة في معارضة صفي الدين الحلي والرد على تشيعه.

الثالث: الحواشي التي ألفت على الكشاف وكذا بعض مختصراته كتفسير البيضاوي كان السبب فيها عقدياً فإما أن يكون رغبة في التأييد، أو لكشف اعتزالياته التي أودعها الكشاف، وقد عدد الدكتور مصطفى الجويني[٢] أكثر من ثلاثين كتاباً أو حاشية على الكشاف.

٣ـ أن تظهر خدمة المعتقد من عنوان الكتاب:

فقد ألف أبوبكر بن حجة الحموي (٨٣٨هـ) بديعيته وشرحها، فقد سمى البديعية (تقديم أبي بكر)[٣]، وقد أراد التورية بأبي بكر، فإنه اسم الصحابي الجليل رضي الله عنه، فابن حجة أراد بيان رأيه في تقديم أبي بكر على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وورى باسمه وهو (أبوبكر)، ليفصح عن منزلته بين مؤلفي البديعيات، لأنه اطلع على ما ألفه الصفي الحلي المتشيع، وما ألفه العزالموصلي السني.

والمثال الثاني ما سمّى به ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ) الذي سمّى بديعيته (تقديم علي)[٤]، وهو شيعي واسمه علي بن معصوم، وغرضه من التورية ظاهر.

---

(١) التوصل بالبديع: ٤أ (مخطوط).
(٢) منهج الزمخشري: ٢٧١ ـ ٢٧٥.
(٣) خزانة الأدب مقدمة المؤلف.
(٤) البديعيات في الأدب العربي: ١٢٣.

٤ـ أن تكون خدمة المعتقد الغاية من تأليف الكتاب:

وخير من يمثل هذا الأمر القاضي عبدالجبار (٤١٥هـ) في تأليفه لكتابيه: (المغني في أبواب التوحيد والعدل) فالجزء السادس عشر خاص بإعجاز القرآن(١) وكتابه الآخر: (متشابه القرآن)(٢)، فقد كان فيهما وفي غيرهما منظراً لمذهب(٣) الاعتزال مستنداً على القواعد البلاغية في ذلك.

والمثال الثاني هو تأليف الزمخشري (٥٣٨هـ) للكشاف، وغاية الزمخشري أوضح من أن يُثْبَتْ، فقد نبّه عليها مجموعة كبيرة من العلماء غير الذين صنفوا الحواشي على تفسيره.

ومن هؤلاء العلماء الذين نبهوا على غاية الزمخشري: تاج الدين السبكي حكاية عن والده تقي الدين السبكي الذي كان «يقرىء الكشاف لتلاميذه، ولكنه حين وصل إلى كلام الزمخشري في سور التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ أعرض عنه صفحاً، وكتب ورقة حسنة سمّاها: (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف)»(٤)، عرض فيها نماذج من مخالفات الزمخشري العقدية، وبخاصة نيله من رسول الله ﷺ.

---

(١) مطبوع بتحقيق أمين الخولي.
(٢) مطبوع بتحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة.
(٣) انظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار، والمنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن.
(٤) معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي: ٨٠، ٨١ طبعة الخانجي: ط١، ١٣٦٧هـ، وانظر: منهج الزمخشري: ٢٦٧.

كما صرّح العلامة ابن خلدون (٨٠٨هـ) بهذه الغاية عند الزمخشري، ومما قال، وهو يتحدث عن الكشاف: «إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة»[١]، وقال في موضع آخر: «...فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة»[٢]، ويقول الدكتور مصطفى الجويني: «أما الناحية الأخرى من شخصية كمعتزلي، فهي ناحية الاعتزال الصرف، وفيها يبدو الزمخشري مفسراً للقرآن ملتزماً بمبادىء الاعتزال، ينظر الزمخشري إلى القرآن نظرة عامة، فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابه إلى المحكم، ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي»[٣]، هذا رأي من تتبع الزمخشري وبيّن منهجه في تفسيره.

ولقد أتقن الزمخشري تطويع تفسير آي القرآن لخدمة الاعتزال حتى قال عنه البلقيني: «استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش»[٤].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٠، وانظر: منهج الزمخشري: ٢٦٥.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٥٥٣، وانظر: منهج الزمخشري: ٢٦٥.
(٣) منهج الزمخشري: ١٠٦.
(٤) الإتقان للسيوطي: ٢/١٢٣٦، وانظر: منهج الزمخشري: ٢٦٩.

٥ـ وجود أحد الأنواع البلاغية:

لعل أهم ما يمثل هذا الجانب هو باب المجاز الذي أتكأ عليه المعتزلة في تسويغهم لكثير من آرائهم.

يقول أحد الباحثين عن دوافع المعتزلة المباشرة لبحث المجاز: «إن المعتزلة وجدوا في بعض آي القرآن ونصوص الحديث ما ظاهره متعارض مع أصولهم وعقائدهم، وأنهم اجتهدوا في تأويل تلك النصوص وتفسيرها تفسيراً يوافق مذهبهم، وفي هذا التأويل كانوا يحاولون صرف الألفاظ عن ظاهرها القريب وإعطائها معاني أخرى وراء الظاهر ... ومن هنا يمكن اعتبار بعض أصول الاعتزال دوافع مباشرة لدرس المجاز في القرآن والحديث وفي اللغة العربية عامة»(١)، ويشير باحث(٢) آخر إلى اتكاء الفرق الباطنية على المجاز في تأويل نصوص القرآن الكريم.

ولنفترض أن المجاز إنما نشأ لخدمة معتقد هؤلاء ليكون وسيلة يصرفون بها ظاهر الآيات التي تعارض معقتداتهم، فهل هذا يسوغ إنكار المجاز كله من اللغة والقرآن؟.

أقول إن المجاز يمكن تحويله إلى وسيلة نافعة على الرغم مما شاب نشأته من ملابسات.

فالذّرة حين صنعت استخدمت للتدمير وإهلاك الحرث والنسل.

---

(١) المنحى الاعتزالي: ١٧٢.
(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة: ١١٨ ـ ١١٩.

والآن تستخدم في الصناعات السلمية مما يعود على البشرية بالخير.

وأشعة الليزر بدأت سلاحاً حربياً، ثم صارت من وسائل العلاج الناجعة.

وأجهزة التسجيل بدأت قاصرة على الغناء واللهو والطرب، ثم صارت وسيلة لنشر الخطب والمحاضرات وهكذا.

ولهذا فالمجاز وسيلة مثله مثل اللغة نفسها فقد ينطق بها المتكلم فيكون متعبداً لله فيما يقول، وقد يتلفظ بأقوال شركية.

والوسيلة قد تستخدم في الخير فتكون خيراً، وقد توظف لغير ذلك فتكون وسيلة هلاك، وليست السيارة عنا ببعيد، فهي وسيلة انتقال مريحة لمن يحسن استخدامها، وهي آلة دمار وهلاك لصاحبها ولغيره إذا تهور في قيادتها!!.

٦ـ تحديد أقسام النوع البلاغي:

وأحياناً يكون المعتقد مُسَيِّراً لمعتنقه، ليوظف تحديده للمفهوم وأقسامه، كما حصل مع الجاحظ عندما تحدث عن مفهوم الخبر من حيث الصدق والكذب وأقسامه حيث يرى[(١)] أنه ثلاثة أقسام:

١ـ ما وافق الواقع والاعتقاد فهو صدق.

---

(١) انظر: تلخيص المفتاح للقزويني، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح، وعروس الأفراح كلها نسبت ذلك للجاحظ (شروح التخليص: ١/ ١٨١ ـ ١٨٢).

٢ـ ما وافق أحدهما وخالف الآخر فهو ليس بصادق ولا كاذب.

٣ـ ما خالفهما فهو كاذب.

وقد خالف رأي شيخه النظام الذي يرى أن الخبر الصادق هو ما وافق الاعتقاد، وما خالفه فهو كاذب.

وإن تقسيمة الجاحظ تذكرنا بمقولة المعتزلة إن الناس مؤمن وكافر وفي منزلة بين المنزلتين(١).

٧ـ مخالفة القاعدة البلاغية:

اتفق جمهور(٢) البلاغيين على أن تقديم المسند إليه المسبوق بالنفي، ومجيء المسند فعلياً ـ سواء أكان فعلاً أم مشتقاً ـ فإنه يفيد القصر من خلال هذا التركيب فقد ذكر الزمخشري نفسه هذه القضية في عدد(٣) من تطبيقاته.

ولكنه سرعان ما يهرب عنها إذا اصطدمت مع معتقده، ولنقف على حديثه(٤) عن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ

---

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: ٢٥٥ ـ ٢٦٤.

(٢) انظر مثلاً: دلائل الاعجاز: ١٢٤ ـ ١٢٧، وانظر: الإيضاح للقزويني: ٢/٥٣، ومختصر السعد، وعروس الأفراح، مواهب الفتاح (شروح التلخيص: ١/٣٩٦).

(٣) انظر مثلاً: الكشاف: ٢/٢٨٩.

(٤) الكشاف: ١/٢١٢، وانظر: الضمير المنفصل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تطبيقية: ١٣٣ ـ ١٣٧.

حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ حيث جعل التقديم هنا للتقوية والتوكيد وليس للحصر، لأنه يعلم أن جعله للحصر يقتضي أن يكون المعنى: وما هؤلاء خاصة بخارجين من النار، وهذا يعني أن غيرهم كأصحاب الكبائر مثلاً يمكن خروجهم من النار، لكن المعتزلة يرون خلود صاحب الكبيرة في النار، وأنه لا خروج له منها.

هذا شأن الزمخشري فهو كما يقول أحد الباحثين: «لا يتورع أن يتصرف في معاني الألفاظ وفنون البلاغة، ليكيفها كيف يشاء في سبيل ألا يخرج على قاعدة من قواعد الاعتزال»(١).

٨ـ إيراد أمثلة لأحد الأنواع البلاغية من القرآن الكريم:

بعض الأنواع البلاغية يصعب أن يُذْكَرَ لها شاهد من القرآن الكريم، لتنزيه كتاب الله عن الاشتمال على مثل تلك الأنواع مثل: الهزل يراد به الجد، والإعناث، وغيرهما من الأنواع التي تختص بالشعر.

ويمكن أن نلقي نظرة على الفرق بين الأنواع التي أوردها ابن أبي الإصبع المصري في كتابه تحرير التحبير حيث بلغت مائة وواحداً وعشرين نوعاً، والأنواع التي وردت عنده في كتابه بديع القرآن حيث اكتفى بخمسة وتسعين نوعاً، والسبب واضح أنه في

---

(١) علاقة التفسير بالبلاغة عند الزمخشري، عمر حامد الملاحويش: ١٤٩، وانظر: الضمير المنفصل: ٦٥.

الكتاب الأول يتحدث عن صناعة الشعر والنثر إضافة إلى إعجاز القرآن الكريم، وأما الكتاب الثاني فهو خاص ببديع القرآن.

ومن الأمثلة على ذلك ذكر مثال من الانسجام من القرآن الكريم، فالانسجام في النثر عندهم هو مجيء الكلام موزوناً، وهذا يدخلنا في مسألة شائكة وهي: هل في القرآن شعر؟، وقد انبرى عدد من العلماء للرد على هذا، في الوقت الذي تجرأ بعض(١) البلاغيين على ذكر بعض الآيات مكتوبة على هيئة أبيات الشعر، وتحتها تقطيعها العروضي.

٩ـ تحليل النص:

لعل هذا الوجه من أبرز الوجوه التي يستند عليها كثير من البلاغيين في توجيه النص ليخدم معتقداتهم، وقد مَرَّتْ بعض الأمثلة التي تندرج تحته كموقف الزمخشري من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾(٢).

---

(١) المفتاح: ٥٩٨ ـ ٦٠١، وانظر: البلاغة والنقد في شروح البديعيات في القرن الثامن: ٧١٥ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة: ١٦٧.

صلة اللغة بخدمة المعتقد

إن كل ما يقال عن قضية خدمة المعتقد من خلال البحث البلاغي يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان، فالبلاغة من علوم اللغة، والغرض هنا الإشارة إلى تصريح العلماء في اعتمادهم على اللغة في قضايا المعتقد.

فهذا أبوالفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) يفرد باباً في كتابه الخصائص ويجعل عنوانه: (باب فيما يؤمّنه علم العربية من المعتقدات الدينية)[١]، ثم عرض نماذج من صور المجاز المتعددة.

وهذا الطوفي (٧١٦هـ) يقول: «من الأصول العظيمة التي نشأ النزاع فيها من جهة العربية: اختلاف الشيعة والسنة فيما يتعلق بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنعه فاطمة رضي الله عنها (فدكاً والعوالي)، فإنها لما جاءت تطلب إرثها عن أبيها ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما تركنا صدقة)**، ولم يعطها شيئاً، فخاضت الرافضة في أبي بكر، وقالوا منع فاطمة إرثها، وقال أهل السنة، إنما عمل بما سمع، ولم يمنعها حقاً.

ومنشأ الخلاف بينهم من حيث إن (ما) ورد في اللغة على وجهين اسمية وحرفية . . . [ويعدد أنواع (ما) الاسمية والحرفية].

---

(١) الخصائص: ٣/ ٢٤٥.

فالرافضة حملوا (ما) في قوله عليه السلام: **(ما تركنا صدقة)** على أنها نافية، أي إنا لم نترك صدقةً، وإنما تركنا ما تركنا إرثاً لغيرنا.

وحملها أهل السنة على أنها موصولة بمعنى الذي، تقديره الذي تركناه صدقةٌ بالرفع على الخبر، وحذف الهاء من تركناه؛ لأنها ضمير منصوب، وهو سائغ الحذف في الصلة»[1] ثم فصّل القول وبيّن أن الصواب مع أهل السنة لدلالة أول الحديث على نفي الإرث عن الأنبياء نحن معاشر الأنبياء: لا نورث.

ويقول الدكتور السيد أحمد عبدالغفار في كتابه: ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، بعد أن عرض نماذج بيّن فيها كيف تسهم معرفة اللسان العربي في حل مشاكل التأويل، فقال: «... فقد تؤثر مفردات اللغة بمدلولاتها حسب الوضع في ظاهرة التأويل، إذ يشار أحياناً إلى دلالة ربما تكون غير مقصودة في السياق، وهي صحيحة من الناحية اللغوية، وهذا تقصير من متناول النص، وليس تقصيراً من اللغة»[2]، أقول ولعل هذا القول ينطبق على فهم الشيعة لـ (ما) في الحديث السابق.

---

(١) الصعقة الغضبية: ١٢٤أ.

(٢) ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د. السيد أحمد عبدالغفار، دار الرشيد، ص١٤٨، دار الرشيد، الرياض.

أثر العجمة في الانحراف العقدي:

لا شك في أن النصوص الشرعية جاءت بلسان عربي مبين، وإن إدراك معانيها يتوقف على فهم اللغة ومعرفة قوانينها، وسنن العرب في كلامها.

«وإن أول بدعة ظهرت في المسلمين من قبل العجمة:

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر...»[١].

ولهذا قال الحسن البصري: أهلكتهم العجمة[٢] يتأولونه [يعني القرآن] على غير تأويله.

وقال الشافعي: «ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاليس»[٣].

وقال السيوطي: «وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان

---

(١) شرح أصول السنة للالكائي: ٤/ ٧٥٠، ورقم: ١٣٩٨، وانظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٥٠٧.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري: ٥/ ٩٣ برقم: ٢٥٩.

(٣) صون المنطق: ١٥، والكلام عن فن المنطق والكلام، لجلال الدين السيوطي، تعليق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. وانظر: منهج الاستدلال: ٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

العرب»[١]، فهذه الأقوال تؤكد أن الجهل باللغة وعدم معرفة قواعدها، وأساليب استعمالها مظنة الوقوع في الابتداع.

وإليك هذا النموذج: (أخرج البيهقي عن الأصمعي أنه قال: «جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء ـ يناظره في وجوب عذاب الفاسق ـ فقال له: يا أباعمرو آلله يخلف وعده؟ قال: لن يخلف الله وعده، قال عمرو: فقد قال، قال: أين؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها أبوعمرو.

فقال أبوعمرو: من العجمة أُتِيْتَ، الوعد، غير الإيعاد، ثم أنشد:

وإنـــي وإن أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه
سـأخلـف إيعـادي وأنجـز مـوعـدي»[٢]

فهذه الدلائل مجتمعة تؤكد الصلة الوثيقة بين اللغة العربية وخدمة المعتقد، هذا بصفة عامة، وأما علم البلاغة بصفة خاصة ـ وهو موضوع الحديث ـ فيحتاج الأمر إلى شيء من البسط والتمثيل.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الجامع لشعب الإيمان: ٢/١٠٣ ـ ١٠٥.

نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمنهج أهل السنة:

سبق أن أشرت إلى عدد من المخالفات التي وقع كثير من البلاغيين حين تحدثت عن انتماءاتهم العقدية، وسأكتفي ـ هنا ـ بعرض نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمعتقد أهل السنة:

أولاً: ما أورده أبوالحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ) في كتابه النكت في إعجاز القرآن حيث جعل البلاغة فيه عشرة أقسام: ١ـ الإيجاز، ٢ـ التشبيه، ٣ـ الاستعارة، ٤ـ التلاؤم، ٥ـ الفواصل، ٦ـ التجانس، ٧ـ التصريف، ٨ـ التضمين، ٩ـ المبالغة، ١٠ـ حسن البيان.

قال في حديثه عن المبالغة: «الضرب الثاني من المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة، كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١]، وكقول القائل أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالغ في العبارة عنهم»[٢]، ويمكن معرفة سرّ هذا التوجيه إذا أدركنا أن الرماني يرغب في نفي ما يتعارض مع رأي المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعاله، ومفهوم «أفعال العباد المباشرة باتفاق المعتزلة أنها مخلوقة للعباد»[٣]، ولهذا ينفون عن الله خلقها؛ لأن فيها ما هو قبيح.

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٢.
(٢) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٤).
(٣) المعتزلة وأصولهم الخمسة: ١٦٨.

وهكذا وظّف الرماني المبالغة؛ لتنهض برأيهم في قضية خلق العباد لأفعالهم.

ثانياً: ذكر بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) رأياً للسكاكي (٦٢٦هـ) في حديثه عن حذف المسند إليه وفوائد ذلك، فقال: «السادس التعين فيه، أي أن ذلك المسند معين للمسند إليه منحصر فيه، فلا حاجة لذكره، كقولك: خالق لما يشاء أي الله، وقول السكاكي: «لما يشاء لا حاجة لذكره»، وأنه إنما ذكره اعتزالاً؛ لأنهم يرون أن العبد خالق، ولكن لا لكل ما يشاء.

وفي ما قيل نظر؛ لأن هذا المثال هو المطابق لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[١]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٢] فلعل السكاكي لم يقصد بقوله لما يشاء الاحتراز، بل قصد التأسي بالآية الكريمة»[٣].

ويلحظ أن السبكي عندما ردّ على السكاكي إنما اعتمد على السياق القرآني فإذا كان لفظ (كل شيء) ليس صريحاً في المثال الذي أورده السكاكي، فإنه صريح في عدد من الآيات الكريمة، وهذا ما يمكن تصنيفه تحت مفهوم القرينة اللفظية التي سيأتي الحديث عنها.

ثالثاً: نبّه السبكي إلى إحدى اعتزاليات الزمخشري فقال:

---

(١) سورة النور: ٤٥.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٢٧٩).

«تنبيه: قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾[١] هم هنا بمنزلتها في قول الشاعر:

هـم يفـرشـون اللبـد كـل طمـرّة ....

في دلالته على قوة أمرهم، لا على الاختصاص أ.هـ.

وهي دسيسة اعتزال، لأنه لو جعلها ـ هنا ـ للاختصاص لزمه تخصيص عدم خروج الكفار، فيلزم خروج أصحاب الكبائر من المسلمين كمذهب أهل السنة، والزمخشري أكثر الناس أخذاً بالاختصاص في مثل هذا وغيره من قواعد البيانيين، فإذا عارضه الاعتزال فزع من قواعدهم إليه»[٢]، والقاعدة التي تضبط هذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين عند تقديم المسند إليه المسبوق بالنفي على المسند الفعلي، وقد ألمحت إلى ذلك عند ذكر وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي.

رابعاً: عقب السكاكي على قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ بقوله: «أصله لن يتوبوا، فلن يكون قبول توبة، فأوثر الإيجاز، ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، وهو قبول التوبة الواجب في كلمته تعالى وتقدس»[٣]، ويلحظ أن النفي في الآية الكريمة منصب على قبول التوبة، ويفهم من هذا وجود التوبة

---

(١) سورة البقرة.
(٢) عروس الأفراح (شروح التلخيص: ١/ ٤٢٤).
(٣) المفتاح: ٢٨٠.

ثابتة، وقد نبّه الدكتور عبده زايد على ذلك، وبين أن رؤية السكاكي للنفي أنه شامل للتوبة وقبولها جميعاً، لما بينهما من التلازم.

ثم عقب الدكتور عبده بعد ذكره لنص السكاكي بما يوضح السبب الذي حدا بالسكاكي إلى القول بذلك، فقال: «فإن التلازم بين التوبة وقبولها غير مفهوم إلا على مذهب المعتزلة.

قال التفتازاني: إن اللزوم في الأول مقرر متفق عليه بين الكل، إذ لا نزاع في أن كل ما يثبت يعلمه الله ألبتة... بخلاف لزوم التوبة لله، فإن ذلك إنما هو عند المعتزلة، وعندنا لا وجوب ولا لزوم بالنسبة إلى الله تعالى»[1]، فهذه المغالطة من السكاكي المتمثلة في أمرين:

أولهما: لغوي حيث زعم أن النفي للتوبة وقبولها، والواضح من الآية أن النفي خاص بقبولها.

وثانيهما: ادعاء التلازم بين التوبة وقبولها، وهذا عقدي هو السبب في الزعم الأول، وهما معاً إنما عمد إليهما مع مخالفتهما الصريحة لمفهوم النص، لأن الدافع للقول بهما خدمة المعتقد.

رابعاً: عرض الزمخشري في حديثه عن تعريف الحمد في قوله تعالى ﴿**الحمد لله**﴾ فقال: «والاستغراق الذي يتوهمه كثير من

(١) عكس الظاهر: ٢٢ ـ ٢٣، وقد نقل نص التفتازاني من شرحه للقسم الثالث من المفتاح وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.

الناس وهمٌ منهم»[١]. وقد وقف السبكي مع هذا الرأي مبيناً أن دافعه للقول به إنما هو «نزعة اعتزال؛ لأنهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأنهم يحمدون عليها»[٢]، ثم انبرى السبكي للرد فقال: «وكأن قائل هذا القول لم يطرق سمعه قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[٣]، وقوله ﷺ عند الصباح: **(اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك)**[٤].

ثم شرع السبكي يتلمس العذر الزمخشري بافتراض بعض الأعذار فقال: «وقيل إن أراد أن الألف واللام ليست للاستغراق إذا دخلت على اسم الجنس!، وليس كذلك، بل هي للاستغراق عنده وعند الأكثرين.

وقيل إن أراد أن التقدير أحمد الله حمداً، لأنه مفسر بقوله: **إياك نعبد﴾** فكان المقصود به حمداً خاصاً، فلا تكون للاستغراق وإن أراد ذلك ففيه نظر»[٥]، فيلحظ هذا الإنصاف من السبكي، لأنه بعد أن كشف دافعه لهذا القول، افترض أن معترضاً عليه يعتذر عن الزمخشري من وجهين، ردّ أولهما وهو أن أل إذا دخلت على اسم الجنس لا تكون للاستغراق، لأن الزمخشري ـ في مواضع من تفسيره ـ يرى أنها تكون للاستغراق.

(١) الكشاف: ١/ ٥٠.
(٢) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٣٦).
(٣) سورة النحل: ٥٣.
(٤) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ١/ ٣٦).
(٥) المصدر السابق: ١/ ٣٦ ـ ٣٧.

وأما الافتراض الثاني فكأن السبكي يجد للزمخشري بعض العذر فيه حين قال ففيه نظر، لأنه يفهم من ذلك أنه ربما كان له وجه، ولكن الأمر غير ما يريد.

وقد نبه السبكي إلى أنه لا يُسلِّم بامتناع إطلاق الحمد لغير أهل الكمال، لأنه قد يحمد غير الإنسان كقول العرب عند الصباح يحمد القوم السرى.

خامساً: ذكر الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) في باب المشاكلة[١] قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٢]، وهذا يعني نفي صفة النفس عن الله عز وجل، وما كان ذلك إلا بدافع من معتقده الاعتزالي.

ولقد تجاهل القزويني أن صفة النفس ثابتة لله عز وجل بعدد من الآيات منها:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٣].

---

(١) الايضاح: (بغية الإيضاح: ٤/ ٢٢).
(٢) سورة المائدة: ١١٦.
(٣) سورة الأنعام: ٥٤.

وقوله تعالى في سورة طه: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾.

بل وثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ: **(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**[١].

كل هذه الأدلة تدحض ما ذهب إليه القزويني، وتؤيد مذهب أهل السنة في إثبات هذه الصفة، وقد وقف قلة من البلاغيين للرد على القزويني[٢] في ذلك.

سادساً: عندما ذكر الزمخشري قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾.

يرى الزمخشري[٣] أن الله سوّى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به.

وقد انبرى عدد من العلماء للرد على الزمخشري عن طريق جعل هذه الآية من باب اللف والنشر، كما فعل الطيبي[٤]، وابن مالك الرعيني[٥]، وغيرهما[٦]، فذكروا أن الآية فيها محذوف وهو

---

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربع وأحمد، انظر: صحيح الترمذي: ٣/ ١٨٠، وصحيح ابن ماجه: ١/ ١٩٤، وإرواء الغليل: ٢/ ١٧٥.

(٢) انظر: بغية الايضاح للصعيدي: ٤/ ٢٢ ـ ٢٣، ورسالة المشاكلة لابن كمال باشا: ٧٥.

(٣) الكشاف: ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) التبيان: ٤٠١.

(٥) طراز الحلة: ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

(٦) انظر: مغني اللبيب لابن هشام: ٢/ ٨٢٠، والإنصاف لابن المنيِّر (مطبوع بحاشية =

المعطوف، وتقديره: (وكسبُها) فيكون معنى الآية: لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت.

= الكشاف: ٢/ ٦٣).

الاحتكام إلى قوانين اللغة وقواعدها، من أصول قواعد بلاغة أهل السنة:

يمكن الانطلاق لهذه القاعدة من تقسيم ابن القيم يرحمه الله دلالة الكلام بالنسبة لقصد المتكلم وفهم السامع إلى نوعين: حقيقية وإضافية، في قوله: «فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودةِ فكرة وقريحته وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك»(١).

ولهذا فالناظر في بلاغة النصوص الشرعية ينبغي أن يعلم علم اليقين أن التحديد الحقيقي لمعنى النص إنما هو مراد المتكلم، وهو المشرّع هنا، فعليه أن يتوخى الوصول إلى ذلك من خلال السبل المتاحة، من مثل جمع الأساليب المماثلة للكلام المراد فهمه، فبعضها يوضّح بعضاً، لأنها كلها من صاحب الكلام المطلوب معرفته، فإذا كانت آية مثل الاستواء في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، فالخلاف المزعوم حول معنى استوى، وأنه يأتي بمعنى استولى، واحتج القائلون بذلك ببيت مجهول القائل نسب إلى الأخطل، ولم يثبت له، والبيت هو:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

---

(١) إعلام الموقعين: ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

فتفسير الاستواء بالآية لا يلجأ فيه إلى بيانه من خلال هذا الشاهد ـ على فرض صحته ـ إلا بعد تتبع معنى استوى في القرآن وفي ما صح عن رسول الله ﷺ.

وقد تتبع شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم[1] معنى الاستواء في القرآن الكريم ولغة العرب، ووصلا إلى الآتي:

للاستواء معنيان: مطلق، ومقيد:

المطلق: ما لم يوصل معناه بحرف كما في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾، ومعناه: كمل وتم.

والمقيد: ثلاثة أضرب:

١ـ مقيد بإلى كما في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾، وسورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾. وهما بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

٢ـ مقيد بعلى كما في سورة الزخرف: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٢/١٢٦ ـ ١٢٧، وانظر: كتاب ابن القيم رحمه الله (اجتماع الجيوش الإسلامية)، فهو خاص بمسألة الاستواء. انظر: تحقيق الدكتور عواد المعتق.

كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾، وفي سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، وفي سورة الفتح: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[١]. وهذا معناه العلو والارتفاع.

٣ـ المقرون بالواو، وذكروا نماذج له.

لذلك ينبغي أن يوضح معنى الاستواء في ضوء ما ورد في كتاب الله عز وجل أولاً وعلى فرض صحة البيت، فإنه من الناحية اللغوية لا يخدم من استشهدوا به على أن معناه الاستيلاء لأسباب[٢] منها:

١ـ إنكار علماء العربية لمجيء استوى بمعنى استولى، فقد سئل ابن الأعرابي وغيره عن ذلك، فقال لا تعرف العرب ذلك.

٢ـ الاستواء الوارد بالبيت هو بمعنى العلو والارتفاع النسبي:

فإن بشراً هذا كان أخا عبدالملك بن مروان، وكان أميراً على العراق، فاستوى على سريرها كما هو عادةُ الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابَق لمعنى هذه اللفظة، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[٣]،

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) مختصر الصواعق: ٢/ ١٣٧، ١٣٨.
(٣) سورة الزخرف: ١٣.

﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[١].

٣ـ لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك، لكان المستوي على العراق عبدالملك بن مروان، لا أخاه بشراً، فإن بشراً لم يكن ينازع أخاه المُلْكَ.

٤ـ ولو أريد معنى غير المعنى المعروف المتبادر لتضمن الكلام قرينة تدل على المراد، كما هو معروف من إجماع البلاغيين.

ومثل ذلك يقال لمن ادّعى المجاز في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

فقد ناقش ابن قتيبة ذلك وأثبت أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار[٢]، وما دام المصدر المؤكد موجوداً، فالمراد حقيقة الكلام.

ولم يكن لابن قتيبة أن يحسم ذلك لولا براعته في معرفة سنن العرب في كلامها.

ويمكن إيجاز الطريق الأمثل في ذلك فيما يلي:

١ـ جمع نظائر النص في القضية الوادة (فمن خلاله يفهم النص فهماً صحيحاً).

٢ـ عند الاختلاف في الفهم فإنه ينبغي التحاكم إلى فهم من

---

(١) سورة هود: ٤٤.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ١١١.

وجّه لهم الخطاب. وهم الصحابة عند نزول القرآن.

٣ـ إذا كان للنص أكثر من دلالة، فينظر أقربها إلى مراد المتكلم.

٤ـ إذا لم يكن بين هذه الدلالات تعارض وتناقض فإنه يمكن قبولها فاختلاف التضاد هو المرفوض، أما اختلاف التنوع فمقبول.

وهذا يدعونا ـ أيها القارىء الكريم ـ للوقوف عند مسألة القرينة اللفظية والعقلية وصلتها بموضوع هذا البحث.

القرينة البلاغية وأثرها في مخالفة معتقد أهل السنة:

إن الراصد لكثير من المخالفات العقدية يلحظ أن من أهم أسبابها هو الاعتماد على القرينة العقلية، فإذا جاءوا مثلاً إلى قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ قالوا إنه مجاز بالحذف، ويقدرون المحذوف بقولهم: وجاء أمر ربك، أو وجاء عذابه، أو غير ذلك من التقديرات والأقوال التي مرّ بك شيء منها، فإذا بحثت عن تعليل لهذا التأويل رأيتهم يعزون ذلك لاستحالته عقلاً!!!.

وإذا تحدثوا عن المشاكله جعلوا من أمثلتها قوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾، وصرحوا أن مجيء نفس لله إنما هو من باب المشاكلة، متكئين على جانب العقل في استحالة أن يكون لله نفساً!!!.

ومن خلال عرضي لما وقع فيه كثير من البلاغيين من مخالفات لمعتقد أهل السنة أدركت أن جل ذلك بسبب الاعتماد على القرينة العقلية.

والقرينة عند البلاغيين: إما لفظية وإما معنوية، وهي عندهم أيضاً إما مانعة من إرادة المعنى الأصلي وإما معينة على فهم المعنى المراد، وإما هما معاً.

وقد كتب الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي بحثاً قيماً عنوانه: (رأي في قرينة المجاز)[١]، وهو ـ على صغر حجمه ـ مشتمل على آراء سديدة ومنبه إلى أمور مهمة، توصل فيه كاتبه الفاضل إلى نتائج مُرضيّة أرى أنه لا غنى لدارس البلاغة من الاطلاع عليه، والإفادة مما فيه، فالصيد في جوف الفرا، وقد أفدت منه في حديثي عن القرينة.

ومن هذا المنطلق، فلا بد من العناية بالقرينة في صرف الكلام عن ظاهره، ولا بد أن تكون القرينة معتبرة، لتعين على الفهم الصحيح، أماكيف يكون ذلك، فإليك ما أراه في هذا الموضوع.

أولاً: القرينة اللفظية:

إن الأصل في الكلام أن يفهم وفقاً لظاهره ما لم يقم مانع يمنع ذلك، وفهم النصوص الشرعية، قد وضع العلماء ـ رحمهم الله ـ له ضوابط، وتدرجوا في كيفية تحديد الفهم الصحيح، فإذا ورد نصٌ في القرآن الكريم، خفي معناه في موضع، فإنه يمكن أن يرد في نصوص أخرى في القرآن ما يوضح ذلك، فجمع نظائر النص في المواضع الأخرى يسهم في توضيح المعنى وزوال الخفاء، وما يرد في المواضع الأخرى، إن هو إلا قرائن لفظية.

فإذا لم يرد في القرآن ما يوضّح ذلك، فإنه يُفْزَع ـ حينئذ ـ

---

(١) نشر في مجلة الأزهر للدراسات الإسلامية والعربية، فرع المنوفية، كلية اللغة العربية، العدد الثاني عشر، ١٤١٢هـ.

لما صحّ عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولذلك فما صحّ عنه عليه السلام يكون ـ أيضاً ـ من القرائن اللفظية.

فإن لم يوجد فينظر ـ بعدئذ ـ في الإجماع، ومن هنا يبدأ الاعتداد بفهم المتلقي، ولكنه ليس أي متلقٍ، وإنما هم أولئك الذين نزل القرآن في زمنهم، فهم أقدر على فهم القرآن فهماً صحيحاً سليماً، وأقدر ممن جاء بعدهم، فإذا أثر عنهم فهم وأجمع عليه طائفة منهم، فإن ذلك سيكون قرينة لفظية أيضاً.

والمرحلة الأخيرة في الاستعانة بفهم النص هي القياس، والقياس أشبه ما يكون بالقرينة المعنوية، ولكن القياس لا ينفك بحال عن المقيس عليه الذي مرّ بتلك المراحل الثلاث: القرآن، وصحيح السنة، وما أثر من فهم الصحابة، والقياس لا بد أن يكون معتمداً على أساس تجيزه اللغة وقوانينها.

من هنا ـ أيها القارىء الكريم ـ تدرك أهمية الاعتداد بالقرينة اللفظية للوصول إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وإن احتيج إلى القرينة العقلية، فلا بد أن تكون بمعونة من القرائن اللفظية حتى لا يترك المجال مفتوحاً للعقل القاصر، ليتحكم ـ بمفرده ـ في فهم النصوص دون ضوابط.

ولندرك أهمية الاعتداد بالقرينة اللفظية لفهم النصوص فهماً صحيحاً أذكر لك مثالين:

الأول: صفة النفس لله سبحانه التي جعلها بعض البلاغيين

من قبيل المشاكلة في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾، ولا شك في أنهم يعلمون علم اليقين أن القرآن يوضح بعضه بعضاً، فماذا سيقولون عن ورود صفة النفس لله سبحانه، وثبوتها له في عدد من الآيات منها:

قوله جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله تبارك اسمه في سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1].

ويجعلون ـ أيضاً ـ صفة المكر من باب المشاكلة في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، ولو قرأوا آية الأعراف: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ لأدركوا أن هذه الصفة لم تأت للمشاكلة، ربنا لا تجعلنا من القوم الخاسرين.

المثال الثاني: صفة الاستواء التي أوّلها عدد من البلاغيين سواء أكان عن طريق التورية، أم الاستعارة، أم الكناية، أم غير ذلك، والغريب أنهم اعتمدوا في هذا التأويل على بيت من الشعر مجهول القائل:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

اعتدوا بهذا البيت الذي تزكم أنوفنا رائحة الصنعة فيه، ولم

---

(١) سورة الأنعام: ٥٤.

ينظروا في المواضع الأخرى الكثيرة للاستواء في القرآن الكريم، ولم يأخذوا بما قاله أئمة اللغة في الاستواء، وانظر ـ غير مأمور ـ إلى ما خطه يراع الإمام الجهبذ ـ ابن القيم ـ عليه رحمة الله في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية) إذ جمع ما ورد في القرآن الكريم من حديث عن الاستواء، وفصل القول في معناه، ثم نقل ما أثر عن أئمة اللغة في معنى الاستواء، ودوّن ما روي عن إمام الهجرة مالك بن أنس رحمه الله حين سئل عن استواء الله فقال: «استواؤه معقول وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء»[(١)]، فهذه كلها من القرائن اللفظية التي تعين على فهم النص فهماً صحيحاً هو ما نحسبه فهم أهل السنة والله أعلم.

ولتزداد القضية وضوحاً أعرض ما يحصل من خطورة الاكتفاء بالقرينة العقلية:

خطورة الاتكاء على القرينة العقلية بمفردها:

إن للعقل البشري حدوداً لا يتجاوزها، ونهايات لا يتعدّاها، وقد كلّف الله عز وجل الإنسان بما يتلاءم مع قدراته، فليس للإنسان أن يتجاوز حدوده، فيحكم على أمور غيبيةٍ استأثر اللهُ بكنهها، وليس لهذا الإنسان أن يحكم على ما يوصف به الله من واقع تصور وصف الإنسان بذلك، فالله سبحانه يقول في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾، وهو القائل في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ١٤١.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾، ودعني ـ أيها القارىء الكريم ـ أسوق إليك هذه الحكاية الطريفة، وإن كانت تذكر على سبيل الفرض، لكنها تصف حالة الإنسان وصفاً دقيقاً في تصوره وفق إمكاناته، فقد أورد الدكتور علي الفقيهي في مقدمة تحقيقه لكتاب: الرد على الجهمية، للإمام الحافظ ابن منده، ما قاله أحد المحاضرين، ونصه: «يُقالُ: إن رجلاً أعمى رُدَّ بصره عليه لحظةً، فرأى رأس ديك، ثم عاد أعمى كما كان، فكان إذا قيل له: إن فلاناً بنى قصراً عظيماً، قال: كيف هو من رأس الديك؟، وإذا قيل له: وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة، قال: كيف هي من رأس الديك؟!، وهكذا كلما ذكر له شيء، قال: كيف هو من رأس الديك؟!، لأنه لم يشاهد غيره، ويريد أن يقيس كل شيء على الذي شاهده، وهكذا هؤلاء المؤولون لصفات الله تعالى، لم يشاهدوا إلا هذا المخلوق الضعيف الفاني المتصف بهذه الصفات الفانية بفنائه، فتوهموا أنهم إن أثبتوا لله هذه الصفات التي ذكرها في كتابه ـ وهو أعلم بنفسه من خلقه ـ أو أثبتها له رسوله ـ وهو أعلم الخلق وأتقاهم وأخشاهم لله تعالى ـ فقد شبهوه بخلقه، والله تعالى أجل وأعظم من كل ما شاهدته الأبصار أو توهمته العقول»[١]، وعلى هذا فالإنسان ينطلق في أحكامه العقلية وفق ما يتصوره، وتصوّر رأس الديك أنموذج لحدود التصور عند الإنسان، فهو لا يتصور إلا ما يوحي إليه عقله، والدنيا نفسها فيها

---

(١) مقدمة تحقيق الدكتور علي الفقيهي لكتاب: الرد على الجهمية، للإمام ابن منده: ٢١ ـ ٢٢.

ما لم يتخيله بعض بني البشر، بل ربما يحدث أن يتحقق ما يراه الإنسان مستحيلاً في يوم من الأيام!!، فهل كان أجدادنا يتصورون ـ مجرد تصور ـ أن إنساناً يمكنه أن يتحدث حقيقة في اللحظة نفسها مع إنسان آخر بينهما آلاف الأكيال؟!!، وهل يتصورون أن تقع أبصار من في المدينة النبوية ـ في الوقت نفسه ـ على من يؤدي الصلاة في مكة؟!!. فلو أن مجادلاً قال إنه يمكن أن يتصوروا ذلك، فإن هذا المجادل سيؤكد لك أنهم يرون هذا التصور ضرباً من المستحيل.

فإذا كان ذلك من أمور الدنيا المحسوسة، فكيف يكون الأمر إذا كان متعلقاً بأمور الآخرة من الغيبيات وغيرها؟!!، فإفراد العقل في الحكم على الغيبيات فيه تجاوز لحدوده، ومن هنا يأتي ارتباط العقل بالنقل ـ الذي يمثل القرينة اللفظية ـ، فالعقل والنقل جناحا طائر الإدراك والفهم الصحيح، والله أعلم.

الانفلات من قوانين اللغة يوقع في مزالق خطيرة في توجيه النصوص:

إن ترك المجال دون وضع مرجعيّة للعودة إليها عند الاختلاف هو نوع من التمرد والفوضى، وزج بالناس في متاهاتٍ لا معالم لها ولا حدود.

والفرق بين الرمزية المقننة التي هي عبارة عن مفاتيح يستخدمها الراغبون في سبر أغوار النص، والانفلات من كل ضابط فرق شاسع.

ومن أهم المرجعيات لفهم النصوص معرفة قوانين اللغة، فإن ذلك يقي من شرٍّ مستطير.

ولنقف على نموذج لذلك الانفلات.

فقد ذكر ابن قتيبة[١] أن بعض الفرق قالت عن معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾[٢]: يعني عائشة.

وقالت عن معنى قوله تعالى: ﴿ اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾[٣]: يعني فاطمة والزبير.

وعن الجبت والطاغوت قالت: أبوبكر وعمر.

وعن الخمر والميسر قالت: معاوية وعمرو بن العاص.

فأي مستند لغوي لهذه التأويلات سوى اتباع الهوى والشيطان؟!!.

الموقف من المخالف:

من منطلق قبول الحق ممن كان فإن بلاغة أهل السنة يمكن أن تستفيد مما لدى المشاركين في التأليف البلاغي من غير أهل السنة في ما يتفق ومنهج أهل السنة.

والحق أن كثيراً مما ورد في مؤلفات الأشاعرة والماتريدية

---

(١) تأويل مختلف الحديث: ٧١ ـ ٧٢. وانظر: الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ٦٧.

(٣) سورة البقرة: ٧٣.

وبخاصة في ردودهم على المعتزلة يمكن أن يكون ذلك معيناً على الدفاع عن رأي أهل السنة ـ فيما يتفقون فيه مع الأشاعرة والماتريدية ـ والمساحة المشتركة بين علماء أهل السنة وغيرهم مساحة واسعة تزداد مساحتها في ميدان الأشاعرة، وتضيق عند المعتزلة والرافضة، يقول ابن القيم: «فمن هداه الله إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد بالباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدى الله لما اختلف فيه من الحق»[١].

المواصفات التي تحدد منهج البلاغة عند أهل السنة ـ كما أراه ـ :

١ـ أن تتعامل مع النصوص الشرعية من منطلق منهج أهل السنة في العقائد.

٢ـ الإفادة من المؤلفات البلاغية لغير أهل السنة بقدر موافقتها لمنهج أهل السنة، وذلك من مبدأ قبول الحق ممن جاء به.

٣ـ التعامل في توجيه النصوص وتحليلها بلاغياً من منطلق سنن العرب في كلامها، لأنه ـ من خلال الاستقراء ـ لا يمكن أن يتصادم منهج أهل السنة مع قوانين اللغة، وكما يقول ابن خلدون إن البلاغة تؤيد مذهب أهل السنة، وليس المعتزلة، لاعتماد المعتزلة على العقل، وتوازن أهل السنة في ذلك.

---

(١) الصواعق المرسلة: ٢/٥١٦، انظر: منهج الاستدلال: ٢/٦٩٤.

٥ـ أن يكون الأدب الإسلامي ميداناً فسيحاً تنتقي منه البلاغة السنية شواهدها.

٦ـ تخليص كتب البلاغة من الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة.

٧ـ تخليصها من الشواهد المصادمة للمعتقد، أو التي تخدش الحياء الشرعي.

٨ـ ولعل ما يسترعى الانتباه أن أغلب المؤلفات التي تتفق بنسبة كبيرة مع منهج أهل السنة هي أبعد ما تكون عن منهج المدرسة العقلية التي أغرقت البلاغة العربية في وحل المنطق.

وليس هذا بغريب فأهل السنة هم أكثر الناس نفوراً من المنطق والفلسفة.

٩ـ تقديم القرائن اللفظية ـ بالصورة التي مرّ ذكرها ـ على القرينة العقلية.

ولعلنا نحقق بهذه المواصفات بلاغة سُنِّيَّةً سَنِيَّةً نقية.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

بعد هذا العرض الشامل، والوقفات الموجزة مع البلاغة العربية منذ نشأتها لمعرفة التوجه العقدي للمشاركين في البحث البلاغي، وضرورة إبراز رأي أهل السنة في علم من أهم علوم القرآن الكريم، إذ رأينا ـ فيما سبق ـ أن البلاغة العربية وُظّفت بذكاء لخدمة معتقدات المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق، وبقي أهل السنة بمنأى عن توظيف البلاغة لخدمة معتقدهم إلا فيما ندر كما مرّ بنا.

ولذلك فإني في ختام هذا البحث أدعو إلى قيام دراسة تسعى لرصد (أثر المعتقد في توجيه الرأي البلاغي)[1].، وتقويمه في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة، لمعرفة أن ما سلكته تلك الفرق مخالف ـ من الناحية البلاغية ـ للحق والصواب، فالحق مع أهل السنة، وهم مع الحق، وقوانين اللغة، وقرائنها تؤيد رأيهم في فهم نصوص الشريعة، وإظهار بلاغة أهل السنة يكشف ذلك، والله تعالى أعلم.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

---

(١) شرح الباحث الكريم والابن النابه/ سليمان بن عبدالعزيز الربعي المعيد بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم بتقديم تصور متكامل عن هذا الموضوع تمهيداً لتسجيله موضوع رسالة ماجستير. وفقه الله

بيان بأهم المصادر والمراجع

- آثار الحنابلة في علوم القرآن، للدكتور سعود بن عبدالله الفنيسان، ط الأولى، د.ت.

- ابن القيم: حياته وآثاره، للشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد.

- ابن القيم وحسه البلاغي، للدكتور عبدالفتاح لاشين، دار الرائد العربي.

- أبوعبيدة ودراساته النحوية، لمحمد بن خالد الفاضل، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية بالرياض.

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان، لابن الأثير = انظر: المآخذ الكندية من المعاني الطائية.

- الأسلوب الحكيم: دراسة بلاغية تحليلية مع تحقيق رسالة في بيان الأسلوب الحكيم، لابن كمال باشا، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث منشور في طبعته الأولى بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس عشر، شعبان ١٤١٦هـ.

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام، طبع بعناية رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية.

- أصول البلاغة، لميثم البحراني، تحقيق الدكتور عبدالرحمن حسين، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠١هـ.

- أصول مذهب الشيعة، للدكتور ناصر القفاري.
- إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف.
- إعجاز القرآن، للقاضي عبدالجبار. تحقيق أمين الخولي، نشر وزارة الثقافة بمصر، عام ١٣٨٠هـ.
- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، للدكتور منير سلطان، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- أعيان الشيعة للعاملي.
- الإكسير في علم التفسير، للطوفي، تحقيق عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الالتزام الإسلامي في الشعر، لناصر بن عبدالرحمن الخنين، دار الأصالة، الرياض.
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، للدكتور محمد السيد، شركة مكتبات عكاظ، ط٣، ١٤٠٣هـ.
الإمام الخطابي وآثاره الحديثية ومنهجه فيها، لأحمد بن عبدالله الباتلي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم السنة وعلومها، بكلية أصول الدين بالرياض، ١٤١٠هـ.
- الانتصار لنقل القرآن، للباقلاني، مخطوط مصور عن نسخة مكتبة قرة مصطفى باشا.
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لابن المنير السكندري، مطبوع بحاشية الكشاف، دار المعرفة بيروت.
- أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي، للثعالبي الفاسي، مخطوط، مصور عن نسخة جامعة الملك سعود بمجلديها رقم: ٤٥٩٧، و٤٦٣٤.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي، تحقيق الشيخ عبدالقادر عرفات حسونة، دار الفكر، ١٤١٦هـ، وبحاشيته: حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي.

الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية، ليحيى بن حمزة العلوي: تحقيق رياض القرشي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة.

- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

- البحث البلاغي عند ابن قتيبة، لمحمد بن علي الصامل، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، بكلية اللغة العربية بالرياض، ١٤٠٥هـ.

- بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: معروف مصطفى زريق، ومحمد وهبي سليمان، وعلي عبدالحميد بلطه جي، دار الخير، ط١، ١٤١٤هـ.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشوكاني، مطبعة دار السعادة، ط١، ١٣٤٨هـ.

- البديع، لابن المعتز، عناية كراتشقوفسكي،

- البديع في البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق عبد .آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف، دار نهضة مصر، ط٢.

- البديعيات في الأدب العربي، لعلي أبوزيد، عالم الكتب، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لابن الزملكاني، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ.

- البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب، تحقيق الدكتور حفني

محمد شرف، مكتبة القاهرة، وله طبعة أخرى بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور خديجة الحديثي، ط١، ١٣٨٧هـ.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، مصر.

- البلاغة تطور وتاريخ، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار، للدكتور عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر.

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

- البلاغة والنقد في شروح البديعيات في القرن الثامن الهجري: دراسة وتقويماً: لمحمد بن علي الصامل، رسالة دكتوراة مرقونة على الآلة الكاتبة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض، ١٤١٠هـ.

- بيان إعجاز القرآن، للخطابي = انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، للدكتور مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٩٧هـ.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، صححه وضبطه محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ.

- تاريخ بغداد، للحافظ البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

- التاريخ الكبير، للبخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ت.

- التبيان في علم البيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب مكتبة لنهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

وطبعة أخرى بتحقيق توفيق الفيل، وعبداللطيف لطف الله، الكويت ١٤٠٦هـ.

وثالثه: بتحقيق عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

ورابعة بتحقيق الدكتور عبدالستار زموط، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، لابن الزملكاني، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي.

- تجريد البلاغة = انظر: أصول البلاغة لميثم البحراني، تحقيق عبدالقادر حسين، دار الشروق، ١٤٠١هـ.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣م.

- تفيسر البيضاوي = انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، تحقيق محمد عبدالغني حسن، دار إحياء الكتب العربية.

- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، بشرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تلخيص المفتاح = انظر: شروح التلخيص.

- التوصل بالبديع للتوسل بالشفيع، لعزالدين الموصلي، مخطوط، لدي منه نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ذات الرقم: ٦٠٧ بلاغة.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه وضبطه محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط٢، ١٤١٤هـ.

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبدالقادر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر.

- ثلاث رسائل في اللغة، لابن كمال باشا، تحقيق الدكتور محمد أبوالفتوح، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، والدكتور جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ.
- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق الدكتور عبدالعلي حامد، دار الريان للتراث، الدار السلفية، بومباي، ط١، ١٤٠٧هـ.
- جنى الجناس، للسيوطي، تحقيق محمد علي رزق الخفاجي، نشر الدار الفنية.
- جنان الجناس، للصفدي، تحقيق سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار العلوم، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- الحث على طلب العلم، لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق الدكتور أكرم عثمان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
- حلية المحاضرة، لأبي علي الحاتمي، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م.
وهناك تحقيق آخر للجزء الأول حققه هلال ناجي، نشره سنة ١٩٧٨م.
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر بن حجة، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

- خلاصة المعاني، للحسن عثمان المفتي، تحقيق الدكتور عبدالقادر حسين، الناشرون العرب، الرياض.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
دليل عناوين الرسائل العلمية لرسائل الماجستير والدكتوراه بكليات البنات حتى نهاية شهر محرم ١٤١٥هـ، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي بوكالة الرئاسة لكليات البنات.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآفابرزك الطهراني، ط١.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، وقف على طبعه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- رأي في قرينة المجاز، للدكتور أحمد محمد علي، بحث منشور في مجلة الأزهر، بكلية اللغة العربية، فرع المنوفية، العدد الثاني عشر، ١٤١٢هـ.
- الرد على الجهمية، للإمام الحافظ ابن منده، تحقيق الدكتور علي محمد ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٤هـ.
- الردود والعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات، تصنيف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
- رسائل ابن كمال باشا، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠١هـ.
- الرسالة الحاتمية لأبي علي الحاتمي، منشور في مجموعة التحفة البهية، الأستانة، ١٣٠٢هـ.
- الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، لعبدالقاهر الجرجاني = انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، وكذلك انظر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر.

- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، لأبي علي الحاتمي، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥هـ.

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للخوانساري، ط٢، ١٣٦٧هـ.

- الروض المريع في صناعة البديع، لابن البناء المراكشي، تحقيق الدكتور رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

- الروض الوسيع في الدليل المقنع على عدم انحصار علم البديع، للإمام الشوكاني، لدي منه نسخة مصورة عن نسخة جامع صنعاء.

- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، ١٣٨٩هـ.

- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

- شرح مختصر الروضة:
للطوفي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

شروح التلخيص (مختصر السعد، ومواهب الفتاح، وعروس الأفراح، وحاشية الدسوقي)، دار السرور، بيروت.

- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، للطوفي، تحقيق الدكتور محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ.

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي، تعليق على سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الضمير المنفصل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تطبيقية،

لعويض بن حمود العطوي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية لعام ١٤١٦هـ.

- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- طراز الحلة وشفاء الغلة، لابن مالك الرعيني، تحقيق الدكتورة رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، عناية سيد المرصفي، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ.

- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، للسيد أحمد عبدالغفار، دار الرشيد، الرياض.

- عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي = انظر: شرح التلخيص، دار السرور، بيروت.

- عقود الجمان، للسيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٨هـ.

- علاقة التفسير بالبلاغة عند الزمخشري، لعمر حامد الملاحويش،

- عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، ط١، ١٤١٥هـ.

- العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبدالله بن يوسف الجديع، ط١، ١٤٠٨هـ.

- عكس الظاهر في ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب، للدكتور عبده زايد (أحمد محمد علي)، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- عنوان الدليل من مرسوم خط آي التنزيل، لابن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، دار العلوم بالرياض. ١٤٠٥هـ.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٣هـ.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.
- فتح الجليل للعبدالذليل، للسيوطي، تحقيق عبدالقادر أحمد عبدالقادر، دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ.
- فخرالدين الرازي بلاغياً، لماهر مهدي هلال، دار الحرية، ١٣٩٧هـ.
- الفرق بين الفرق، للبغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
- فض الختام عن التورية والاستخدام، للصفدي، تحقيق الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، ١٣٩٩هـ.
- الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار الخانجي، ودار الرفاعي.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت، عمّان، المجمع الملكي، ١٩٨٩م.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات اللكنوي، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت.
- الفوائد الغياثية، لعضد الدين الأيجي، تحقيق الدكتور عاشق حسين، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٢هـ.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، المنسوب لابن القيم.
- فوات الوفيات والذيل عليها، لابن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- قانون البلاغة، لابن طاهر البغدادي، تحقيق الدكتور محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

- القزويني وشروح التلخيص، للدكتور أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ.
- قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ١٤١٤هـ.
- قطوف أدبية حول تحقيق التراث، لعبدالسلام محمد هارون، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، ط١، ١٤٠٩هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الهجرة، صنعاء، ١٤١٠هـ.
- القول البديع في علم البديع، لمرعي الحنبلي، مخطوط، وقد أوشكت على الانتهاء من تحقيقه ولله الحمد.
- الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق المفتي عبدالغفار وآخرين، دارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ١٤١٣هـ.
- الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق الحساني حسن عبدالله، مؤسسة عالم المعرفة، بيروت، وتحقيق آخر بعنوان الوافي في العروض والقوافي، تحقيق عمر يحيى، وفخر الدين قباوة، دار الفكر، ١٣٩٥هـ.
- كتاب سر الفصاحة: دراسة وتحليل، للدكتور عبدالرزاق زايد، مكتبة الشباب، القاهرة.
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، لابن الأثير، تحقيق د. نوري القيسي، ود. حاتم الضامن، ود. هلال ناجي، جامعة الموصل.

وطبعه أخرى بتحقيق د. النبوي شعلان، دار الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٥هـ.

- كناشة النوادر لعبدالسلام هارون، دار الطلائع، القاهرة، ط١.

- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.

- لطائف البيان في علمي المعاني والبيان، للطيبي، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

- المآخذ الكندية من المعاني الطائية (الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان) لابن الأثير، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، مكتبة الإنجلو المصرية.

- الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤١٣هـ.

- متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار الخانجي، ودار الرفاعي.

- مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- مختصر السعد، للتفتازاني = انظر: شروح التلخيص.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصار الشيخ محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.

- مختصر المعاني للتفتازاني، تعليق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، انتشارات سيد الشهداء.

- المزايا والخواص في الأسلوب البلاغي، لابن كمال باشا، تحقيق د. حامد قنيبي = منشور في: بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها،

كلية اللغة العربية، ج٢.

- المصباح في تلخيص المفتاح، لبدر الدبن بن مالك، تحقيق الدكتور حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب.

- المطول، للتفتازاني، مكتبة الداودي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

- المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين.

- معترك الأقران، للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد بن عبدالله المعتق، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

- المعجزة الكبرى (القرآن)، لأبي زهرة، دار الفكر العربي.

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، دار الفكر، ١٤٠٠هـ.

- معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين السبكي، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، مكتبة الخانجي، ومكتبة المثنى، ط١، ١٣٦٧هـ.

- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار = انظر: إعجاز القرآن.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمدلله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٥، ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، أو تفسير الرازي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

- مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبط وشرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، وطبعة أخرى بتحقيق أكرم عثمان.

- المفتاح المنشأ لحديقة الإنشاء، لابن الأثير، تحقيق هلال ناجي، الموصل، ١٤٠٣هـ.

وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبدالواحد حسن الشيخ، شباب الجامعة، ١٤١١هـ.

- مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ.
- مقدمة تفسير ابن النقيب، لابن النقيب، تحقيق الدكتور زكريا سعيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، لأحمد أبوزيد، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٦م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.
- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- منهج الخطابي في العقيدة، لإبراهيم بن عبدالله الحماد، رسالة ماجستير، مرقونة على الآلة الكاتبة مقدمة لقسم العقيدة في كلية أصول الدين بالرياض.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، للدكتور مصطفى الصادق الجويني، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
- مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي = انظر: شروح التلخيص.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية (شرح الكافية البديعية) لصفي الدين الحلي، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة بمصر.
- نصرة الثائر على المثل السائر، للصفدي، تحقيق محمد علي سلطاني، ١٣٩١هـ.
- نضرة الإغريض في نصرة التعريض، للمظفر العلوي، تحقيق

- نظم البديع في مدح خير شفيع، للسيوطي، المطبعة الوهبية، ١٢٩٨هـ.

- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.

- نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، تحقيق عبدالحميد العبادي، وتقديم طه حسين.

- نكت الانتصار لنقل القرآن، المنسوب للباقلاني، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، اختصره محمد عبدالله الصيرفي، وتركيب عبدالجليل الصابوني.

- النكت في إعجاز القرآن، للرماني = انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للفخر الرازي، تحقيق الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

- الوافي بالوفيات، للصفدي، ط٢، ١٤٠١هـ.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- الوشي المرقوم في حل المنظوم، لابن الأثير، بيروت، ١٢٩٨هـ.
وطبعة أخرى بتحقيق د. جميل سعيد، بغداد.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات